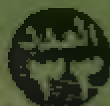
كتاب الهلال

مدرسة المغفلين

تأليف

توفيق الحكيم






AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY

كتاب الهلال



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

مدرسة المغفلين

بقلم

توفيق الحكيم

مقدمة

بعض القصص التي يضمها هـذا الكتاب قد بني على حوادث وقعت بالفعل في مجتمعنا ، كما أن بعضها بني على ما يحدث في الحياة الانسانية . وهناك فرق بين تصوير المجتمع وتصوير الحياة ، فمصور المجتمع لابد أن يتقيد بما رأى وشاهد وعرف ، اذا أراد أن يكون صادقا ، فلا ينبغي له التعرض لبيئة أو طبقة لا يعرفها

ملاحظة الواقع شرط من شروط التصوير الاجتماعي.. أما تصوير الحياة فأمر آخر ، لان الحياة أشمل من الواقع . فالحياة الانسانية يدخل في نطاقها الواقع وغير الواقع ، لان حياة الانسان ـ على خلاف حياة النبات والحيوان ـ لا تقف عند حد الوجود المادي .. بل هي تشمل الوجود في مختلف نواحيه ، المنظورة وغير المنظورة ، المادية والروحية

ولعل سمو قصة « هاملت » لشكسبير راجع الى احاطتها

الكاملة بالحياة البشرية ، فى غرائزها ومشاعرها وخيالاتها وأشباحها وتفكيرها ، فيما هو كائن على الارض وما هو غير كائن الا فيما بعد الموت . . .

حياة الانسان هى أعجب ما فى الخليقة لانها أوسع ما فى الخليقة

والقصة القصيرة ، باعتبارها لونا من ألوان الفن ، يجب أن تتناول ذلك كله فيما تتناول من شئون الانسان فى مجتمعه وحياته . ومهمتها فى ذلك عسيرة . لانها فن اقتضاب وتركيز ، شأنها فى ذلك شأن المسرحية والقصيدة

وهذا التركيز هو الذى قد يجعل منها فن المستقبل - فى رأى بعض أهل الأدب العالمى اليوم - ذلك أن أدب المستقبل لن يحتمل الاسهاب . وقارىء اليوم والغد يكاد تكفيه اللمحة الخاطفة لادراك الصورة الكاملة ، وتكاد تغنيه الاشارة عن الاطناب فى العبارة

فالقارىء الحديث الذى يعيش فى عصر الطائرات النفاثات لن يطيق طويلا الاسترخاء فى مطالعة مئات الصفحات ليحيط بصورة من الصور أو شخصية من الشخصيات . كما أن وجود الراديو والتليفزيون لن يتيح وقتا لقارىء ينفقه فى مطالعة كتاب طويل الى جوار المدفأة، كما يقول الاوروبيون.

أن ركن المداد الذي ترعرعت في كنفه القصص الطويلة لأمثال ستاندال وفلوبير ودستويفسكي وتولستوي وسكوت وديكنز وغيرهم ، هذا الركن لم يعد يحتله الكتاب وحده الآن كما كان في الماضي ، بل يشاركه فيه اليوم ضروب الفن الصوتي والمرئي وبرامج مختلفة من مسموع ومنظور .

أترى تختفي القصة الطويلة كما اختفت القصيدة الطويلة في أواخر التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟

مهما يكن من أمر ، فإن طابع المسرحية والقصة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وإيحاء وسرعة هو الأدنى إلى طابع العصر الحديث في مسلكه العام .

ومن يدري ؟ فقد تدور الأيام دورتها وتصبح البلاغة في عرف العالم القادم ، كما كانت في عرف الأدب العربي القديم ، هي بلاغة الإيجاز ، فرضتها على العالم اليوم عصر السرعة . كما فرضتها قديما عند العرب الرحل سرعة تنقلهم بين واحات الصحراء .

السرعة في كل زمان ومكان تنمي في الإنسان سرعة الإدراك وسرعة التلقي والاستيعاب ، فيتخذ الفن بعد ذلك من الأشكال ما يتفق مع روح العصر الواحد .

توفيق الحكيم

مدرسة المغفلين

هب من فراشه بعد منتصف الليل على طرق الباب ، وقام
ليفتح ، وهو كالسكران من حلاوة النوم ، ومشى في دهليز
مسكنه الذي يبيت فيه وحده ، مشية غير الواثق من نفسه ،
ثم فتح بغير تفكير ، وإذا شاب يدخل صائحا

ـ ارحموني .. ارحموني .

ويندفع إلى البهو ، فيضيء أنواره كلها ، ويختار مقعدا
صغيرا [illegible] ، ويخرج من جيبه ورقة ، طفق
يقرأ منها بأعلى صوته :

ـ ارحموني .. ارحموني

فأقبل صاحب البيت نحو قادمه وسأل متأثرا .

ـ ما هي المسألة ؟

ـ المسألة خطيرة جدا ، إنه الحب ، إنه السهاد ، إنه البعاد
عن الحبيب ، وأنا أبعث هذه القصيدة ، لعلها ترق وتحن ،
قد نظمت لها قلبي ، لأضع في كل كلمة قطعة . اجلس
واسمع ..

فلم يجد صاحب الدار بداً من الإذعان ، فالضيف صديق لا يجب إغضابه ، وهو في عرف الذوق وآدابه مكلف بإكرامه وإرضائه ، فجلس مكرهاً ، يغالب الكرى ويجاهد ، ويصارع النعاس ويتماسك ، ليسمع شعراً ونغماً في الهزيع الأخير من الليل

ونشر الضيف الورقة في يده وأنشد :

ارحموني .. ارحموني ..

طـــار نومي من عيـــوني

ونبه صاحب البيت وقال وهو يفرك أجفانه الحمراء :

ـ عيون من التي طار نومها ؟

ـ عيوني أنا طبعاً

ـ آه . طيب

ومضى الضيف في التلاوة ، حتى قطع فيها شوطاً ، فلم يجد لإنشاده صدى ، ولم يسمع على جودته تعقيباً ، فرفع بصره إلى ذلك الذي يلقي عليه أبياته ، ونثر عليه آياته ، فوجده يترنح ويتمايل ... لا من الإعجـــاب ... ولا من الطرب .. طبعاً .

فكف عن اعراضه وصاح :

— أيها الشيخ ، يظهر أنك متعب ، خير الأمور أن تنوم . .

فنهض السائل منزعجا ، وهم بشيء ، ووثب من مقعده ، كأنه عبد أعتق ، أو سجين أطلق ، ولسانه يلهج بالشكر ، ولكن الضيف استأنف :

— نعم ، خير الأمور أن تنوم فتنصب على رأسك كتبه من الله الباردة ، تعوق وتشقى وتسمع بقية القصيدة ، لأنها طويلة جدا

وهنا لم يطق صاحبنا الشيخ صبرا ولم ير في نفسه طاقة ... فانفجر يلعن الحب والمحبين ، والشعر والشعراء ، وقصائد الغناء والبكاء ، وكل ما على الأرض من سفه . وترك المكان . وذهب الى حجرته ، واندس في فراشه ونام



مرت شهور على تلك الليلة ، وهو لا يعلم من أمر صديقه المتيم شيئا ... ثم راحت ابنه الأحداث بأن ذلك الغرام الذي أسندت فيه القصيدة بعد سبعين ليلة ، قد جر صاحبه الى

أخرج ا رق ، دخـــه معتته نمعه كأنه قصيدة من معلقات الكعبة لابد من الزواج . بنت صحيحة التى لا تنزل عنها ، وبعضهم من لا تعرف منه ولكن كيف يتزوجها ، وقد عرف عنها ما عرف ؟ إنها فتاة لعوب ، من أولئك الفتيات المعروفات على شواطىء المرح ، المترددات فى ملاهى العــــرب كم داعبت ولاعبت . ونست وسحرت . ولو أنطق الله سمت الشموع لجهر بعدد من أحبها ولو تحدثت زمن البلاج وموائد « الأوبرج » . . . ما احتفظت على مقـــدار عمرانهـــا وسمائها وبيتها .

ووقف حسب الأمس وقفة الدائد عن عمه ، الغيور على اسمه وشرفه كل شيء الا الزواج من هـــذه الفتاة ان احب شيء ، والزوجة شيء آخر انه ليس معقولا حتى يحتمد بين مسائل العرب وهمــــل المستقبل لا . لن يتزوجها على الرغم من جمالها الفتان ومركز أسرتها الممتاز . أما هى فقد سببت وســــال من يوسط فى الأمر أن لمعاملته قبل الزواج لا تدل على شيء ، وقد أصبح مألوفا فى عصرنا الحاضر عصر الحرية والســـفور . فكثير من الزوجات تحدثن شعن لعب ومعاكسة قبل الزفاف انها حجة واهية يجب ألا يخدع بها رجل جاد .

وانتصرت امرأة في النهاية ، كما تعودت دائما أن تنتصر . ووقع الرجل في « الزوجية » كمن يقع في « حفرة » .. لا يدري كيف كان واقعا ، وقال « نعم » .. ولا يذكر بالضبط كيف ساخت قدمه . ولكنه أخذ يعلل نفسه ويسليها ويمنيها بقوله : « مع عمري ربما صحت الحدوتة .. ولكن مين أنا ، مع مثلي ! .. وأنا أعرفها أكثر من أمها التي ولدتها ، وهي تعرفني وتعرف طبعي اسمه وشكلي الهوية وعيني الشديدة وعيني الساهرة » .



هذا ما كان من أمر الصنف المحرم ، أما ما كان من أمر صاحب البيت ، فهو لا يعرف الشعر ولا الحب . وكل ما يعرف أن وحدته في بيته قد نغصت عليه وأن البيت بلا امرأة جسد بلا روح وأن عليه في منزله أن يخرج من حجرة ليدخل أخرى ، وسال حاله ينطق عن الأغنية الشعبية القديمة :

« العروسة » طالت عليه

يا أمي اخطبي لي عروسة وعيشه

ولم يكن لديه أم تخطب له . ولم يكن من الضروري

عده أن يفتش شرط الخلوة العبه . يكفيه اجل ابوسعد .
انه رجل سالم قنوع .. ولكن ، من يبحث له ؟ وهب
تذكر سيدة من صديقات الأسرة .. امرأة ضعف وزوجة
رجل محترم ، لها علم راسخ بأخبار المجتمع الراقي .
خاطبها بالملعون ، وأذن لها عن طلبه فدلت ضاحكه
بأفضل نصحي ؟ الزواج في عصرنا الخاسر كما يقول المثل
السائر : « عن عينك يا تاجر » .. الطريقة المثلى الآن أن
تحضر المجتمعات والحفلات وتختار من تعجبك ، وتسأل
عنها .. وها هي فرصة سانحة في الاسبوع المقبل حفلة
خيرية في « الأوبرا » ستلتقي فيها كل أسماء القاهرة ،
من سيدات وفتيات وبنات والفقر .. واحجز لي هناك وأنا
أدلك . »



ووافى موعد الحفلة الخيرية . وكان سعيدا جميلا لمع
فيه عيون النجوم وتألق القمر . فارتدى رداء السهرة ،
وذهب على بركة الله . ولم يمض قليل ، حتى غاص في
بحر أضواء السماء والكهرباء والنساء ، وأوغل في روضة
السحر والشر وامتدت حوله أيدي الاغصان وأذرع

الحسن . واستطاعت كواعب بائعات الفتنة في صورة بائعات الورد وأخص به من يمين ومن شمال انه حصن الحسان . ورد يسع ورداً . وأزهار تحمل أزهاراً . وتخرج من حيث تعود عن عبير وعي ، ونثر وبذر ، محتضنة السمات والعطرات . ها هي ذي سوق الملاحة والرشاقة والدلال ماذا يأخذ منها ، وماذا يدع ! ومن يحب ومن يكره ! ومن ـه ومن يختار ؟ فهي بصره ، وأين بصره . وأين [illegible] وحار . ثم انسه على صوت [illegible] فاذا هي انسانة [illegible] في شأنها هذه به قلب عنه وذهبه كأن الماهر ، في حضيضهم موائد الكل وموكب الحسن . وهمست في أذنه :

ـ ألم تعجبك واحدة ؟

فقال على الفور .

ـ أعجبني الكل . أحب هذه ذات الثوب الوردي ، وأحب تلك ذات الثوب البرتقالي ، وأحب الدائنة ذات الثوب السمي وأحب السعيدة ذات الثوب الكحلي وأحب الضاحكة ذات الثوب السماوي ، أحب هذه ، وهذه ، وهذه ، وهذه أحب الجميع

فضحك وقال :

ـ ليس من المعقول أن يتزوج كل خطيبة ، يجب أن يقع اختيارك على واحدة بالذات

ـ هذه الخطة الأخيرة ولن تلبث تقول « سوق الحريم العصرية » . يعج بصنوف شتى من النساء . ثم لم أعد أدرى أأنا البائع في هذه السوق أم المشتري ؟ عندئذ هب وصاح . حيرتني يا أبت بصائب حكمتك وواسع خبرتك !

فأشرت إلى مجموعة من النسوة ملأت الصورة بمجموعة النسوة ، وقلت :

ـ ألق نظرة على هؤلاء

ـ أكلهن للزواج ؟

ـ بالطبع . كل من ترى هن . العذارى يردن أن يتزوجن والمتزوجات يردن أن يطلقن

فأرسل نظرة شاملة على تلك الوجوه العارية ، والصدور المكشوفة ، والسيقان العارية ، والانحرافات المقصودة ، وقال في نفسه : أين ذلك العهد الذي كانت تسمى فيه المرأة « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » ؟ ترى ماذا يجب أن تسمى اليوم ؟ .

واحد يفكر في اسم أو لقب أو وصف يمكن أن يصدق عليه الآن .. ولكن حين فكرت انصبح فجأة ... لقد مج عن بعد صديقه الشيخ صاحب القصيدة ، يدخل من الباب، وقد أحاطت به باقات الورد كمعتاد . وفي تلك اللحظة في عين الوقت أنسى الدليلة الهادئة ، فهمست قائلة :

ـ صاحبك !..

ـ نعم . إنه ينحنى وحده ... فجأ !.. أين زوجته الآن؟ يبدو أنها كانت إحدى الساعات في الخبر بينهم .. وكنت في توسط في أمر ذلك الزوج

فقالت السيدة بصوت الحد :

ـ حبيبه . شوشو صديقتي ، وكنت أشبها شيئ يعقل بعد زواجها ولكن ، كلام في سرك ... إن لا أحب أن أكون مسئولة عنه الآن . أنا أفهم أن يكون لزوجة بعض الحق في اللهو . ولكن على شرط أن تكون في منتهى الحذر حتى لا يلحظ عليها شيء . وأن تتصرف بعناية أحرص حتى لا يبدو على سلوكها شك . أما شوشو فلا أدري ماذا جرى اليوم لعقلها ... إنها ـ فضلا عن علم الجميع بأن لها حتى الآن أربعة عشاق أو خمسة في نفس الوقت ـ

لا تحـــون أن تداري أمورها ، أو تستر تصرفاتهـــا .
تصور أنها في وضح النهار تمرق من سيارتها أمام دهشـــة
معروفة ومعها حقيبة صغيرة تحوي ، بحاسبها ، الحريرية..
وكل هذا تحت سمع السائق وبصره ، وتحت نظر من يمر
من المعارف والمتصلين الذين قد يعرفون السيارة وصاحبها
لا . شوشو في الحقيقة مهووسة اليوم أكثر من اللازم،
واني أرى منها كل ذلك وأقول في نفسي .. ما يسيره
فكل الناس يعرف سيرها الآن . أمرها شاع والفضيحة
فاحت ...

ـ وزوجها .. ألم يشم الرائحة ؟

ـ الظاهر أنه مزكوم ، كأكثر الأزواج

وكان زوج شوشو عندئذ قد تخلص من بائعات الورد ،
وسار يفحص صفحة الجموع ، كأنه يبحث عن أحد حتى
أشرف عليهما . فما صار على خطوات منهما نحيهما هو
الآخر فأسرع نحوهما وحياهما وعانق صديقه صاحب
البيت عناقا حادا لمناسبة العرس ، ثم لفه في سيل من الامتنان ،
تشكرا للعقيلة التي حضرت فيها شعرها .. على أنه انتهز ، كما
قال ، فلم يدعه إلى حفلة قرانه ولا إلى بيت عروسه .. وها

لفت الى اسمه قائلا بلهجة العجلة واللهفة :

— شوشو .. أم طلعتها هي ؟ عم سأسمي أن أسميها . فإنها انها ستعمر بعض صديقيه أولا . وقد رأيت بذهني بعض أعمال أخرى ، وحش حاسب أني أحمعها لا شك أن حدث حديثه معها عن اولى انه من حسن الحظ أن أفاتك هي امه انه خير سببه أقدم لك فيها شكري . كاد يمضي نصف عام على زواجي ، الذي توسطت أنت فيه وتعلمين كم أنا سعيد ! بعد كنت معتلا يوم ترددت وسمعت وتخوفت . ألا تذكرين كم جاهدت أن أقنعني ؟ الحق كان في حدسك . شوشو أنوثة كاملة ، وإني أصبحت من عشق لرأي السابق في صنفها ، ولا شك قد لاحظت اليوم كم تغيرت وعدت . الحمد لله ، محتولي كانت في عمر محبتها . لقد طلقت السكينة وهي في الخمسة ووجه جميلة مخصصة ندر أن يوجد لها مثيل ..

ومضى في هذا الكلام . وصديقه ، صاحب البيت ، يصغي اليه فاغرا فاه لا يصدق ما يسمع . الى أن تأكد له أن أذنه لم تخدعه ، همس قائلا :

— انا لله وانا اليه راجعون !

ولم يلبث هذا الزوج أن جذبه من ذراعه نحو أحد
المعارف ... ومضى معه الى مائدة عامرة بالأصدقاء
وترك صاحبه واسطة المائدة الهادئة يبادل الطرب ،
صمته بلا تعليق ... وأخيراً ... السيدة فاتنة :

ـ والله شاطرة !

ـ شاطرة ؟! ومن هذا تعتبرين أنا أيضاً ؟ وهل تستحقين
في سكوت من هذا العمل ؟

فضحكت وقالت

ـ لا . لا تخف ... ظروفنا مختلفة كل الاختلاف
ومع ذلك ... فاذا كنت قد رأيت شيئاً وسمعت بذلك فلا
يصح لي أن أعرف ... هل تريد الصراحة ؟ اذن اسمع
رأيي ... هذا شيء احدث وهذا عصرنا ... خذ الأمور كما
هي ولا تخدع نفسك ... واعلم أن أكثر النساء هنا لكل
واحدة منهن على الأقل عشيق أو ثلاثة ... ولست انسى
بان بها عفة ... سمعة ولم يسمع عنها أحد شيئاً ، هي انثى
لها عشيق واحد ... هذا اذن سر أن أعاتبك ، أو أن
أشجعك على مقاطعة نفسك ، فهذا أمر آخر ... ولكني
أنصحك أن تصير الى الواقع اليوم بمثل الواقع

وسكت لأن الموسيقى الراقصة دوت في المكان . وقام من كل مائدة زوجان .. ودق الصنج ورن النحاس وعوى « السكسفون » . فكان مزيج أصواتها صدى يشبه صراخ الحيوان الجوعان .. والتصقت الأجساد بالأجساد . واحمرت العيون وندت الشفاه واتسعت الأحداق .. واضطربت الأفكار في رأس خاطب الزواج . ماذا يصنع ؟ وماذا يقول ؟ وعلى ماذا يعول ؟..

وظل في اختلاط فكره وحيرة رأيه ما بين الرقصة في اختلاطها ولصقها بأفئدة الراقصين والمشاهدين ... إلى أن انتهت الرقصة . وصمتت الموسيقى ، وصفق الحاضرون . وأقبل البعض على البعض يتحدثون .. فاتجهت السيدة الهندية إلى زميلها الخاص قائلة :

ـ لم أتلق جوابك .. ماذا قررت ؟

فأطرق لحظة ، ثم رفع رأسه وقال

ـ أمري إلى الله .. ابحثي يا اذن عن واحدة شريفة ، عفيفة ، سمعتها نظيفة ، ليس لها غير عشيق واحد !!

الشيخ الليبي

لم أره قط رؤية العين . ولكني سمعت به ممن رأوه وعرفوه . فقد كان يحدث الرجال حديثاً في الإسلام منذ أكثر من ثلث قرن . كان رجلا فارع الطول ، ضامر البطن ، ضخم الجرم ، ذا هيئة تفرض على الناس التجلة والاحترام وكان شديد العناية بثيابه ، لا يرتدي منها إلا ما غلا في الثمن وزاد في أناقته . كان عظيم الهيبة ، أنيق اللحية ، طويل المسبحة ، كبير العمامة



روى لي محدثي عنه قائلا :

— عرفت الشيخ « المنسي » لأول مرة في دار أحد السراة . دخلت عليهم في بيت « السمر » التي كان يجتمع فيها من حين إلى حين جمهرة عليته وأكابر أعيانه . فأبصرت « الشيخ » بطلعته الجسيمة في صدر المجلس ، فلم أشكك في أنه أعظمهم قدراً وأرفعهم قدراً . فلما قدمني

اليه المدير ، ثم أنتظر حتى أعي اسمه ، والمكتب ، بهيئته ،
على يد أمثاله فصحبني في رفق وأفسح لي مكانا الى
جواره ، وهو يقول بصوته الوقور .

ـ أستغفر الله يا بني ، أستغفر الله ! على من أحدث العلم في الأزهر الشريف ؟

فعلت وجهي حمرة الخجل وقلت :

ـ لم أدرس العلم ولكني رجل مزارع من ذوي الأملاك

فربت على يدي بكفه قائلا :

ـ ونعم الزراعة والزراع ! من يزرع خيرا يحصد خيرا ، وأنت زارع .

وسعل سعلا خفيفا كأنه عواء . جهد في كتمه بكمه ومضى يقول متلطفا :

ـ كيف اتفق أنني لم ألتقِ بك من قبل ؟

فقلت وأنا ألقي نظرة على مدير استطاعت عما يصورونه وهم يتحدثون ، حتى لا يزعجون ، فما اعتقدت ، بأصواتهم :

ـ اني أصل الحي الى المدير ، ولا أعرف أحدا وعرفني

الا اذا دعتنى الى ذلك المصالح أو الضرورات ..

فقال الشيخ وهو بعد بأصابعه الى لحيته حيث مسحته :

ـ حسب فعلك يا سى .. لقد قالوا فى الأمثال : الارض التى لا ترى قدم صاحبها لا تطلع ..

وسعل ذلك الشيخ السعال الحرب المكتوم وقد وضعت معالمه المشبهه لعواء الكلب .. فأحدثت رعدة . وأحس ذلك منى .. فسأل عن أمرى هامسا .

ـ هل أزعجك سعالى ؟ لا تخش شيئا .. هذا أمر يأتى أحيانا ويمر من الكرام ..

فقلت له باطمئنان :

ـ بل لا تزعج نفسك . انما هو برد عارض من برد هذه الايام ..

فقال لى بسره وقوره هامسا :

ـ لا .. يا سى .. هذا ليس برد .. انى ما تعودت الكذب . انما هو مرض آخر ..

ـ ليس خطيرا على كل حال .

ـ أرجو أن يبرئنى الله منه ..

وسعل . أو على الأصح عوى كالكلب . وهو يسد

فمه بكمه حتى لا يبلغ الصوت أسماع الحاضرين .. وألقى عليهم نظرات فيها مغفرة .. وهمس في أذني :

ـ هل سؤالي لم يحل أبهم . أنا أب فقد ابني . ولعلك تكلم عني . انها نقمة ، ابتلاني بها الله . وهو لا يبلو الا عباده الصالحين . أتمنى لو أن ينهي هذه الأزمة على خير حتى أنصرف عن هذا المجلس .

فأحدثني به شفقة. وزاويه يلم أطراف عباءته ، يسرع بالهمس ، ولكن السعال أو الهواء أدركه .. فلبث في مكانه يحشو فمه بكمه . حتى هدأ قليلا .. فقلت له :

ـ أما من علاج لهذا؟

ـ العلاج بيد الله وأخشى أن يكون قد فات أوانه . كل ما أرجوه ألا يكون ذاتي خطرا على الناس . كما حدث لذلك الشيخ المسكين .

ـ ماذا حدث له ؟..

قلتها مرتاعا .. فقال بصوت مرتجف مثل خائف :

ـ اشتدت علي الأزمة يوما . وقيل انني كنت أسعل سعالا كعواء ذلك الكلب ، المسعور ، الذي عضني .. فلما أراد خادمي اسكاتي ومنعي هربه بأسناني وعضضته عضات

إلى وفاته .. رحمه الله رحمة واسعة ! وزوجني أنا أيضا وعمري ..

وقضم سماعة حديده . وجعل يمرق كمه نشيجه ، حتى لا يخرج الصوت من فمه واضحا .. وجعلت أنا أحاول الزحزحة من مكاني مبتعدا عنه من الخوف ولكن احترامي له وعطفي عليه وحرصي على شعوره وخشيتي من لفت الأنظار إليه .. كل هذا سمرني في مقعدي فتحدثت وقلت له بصوت متهدج

- إنه ولا شك أزمة خفيفة ستمر

ولم أتم [illegible] حتى [illegible] عيناه واحمر وجهه والتوى وارتعد وكشر عن أنيابه ، وانقلب - في لحظة - إلى الشبح الموتور الذي كان حضر عندي وبرقت عيناه وقطر الدم سواء سائر [illegible] وهذه [illegible] نحوي كأنه [illegible] .

وهم بالهجوم علي [illegible] ولم أدر من الفزع إلا وأنا أثب نحو الباب [illegible] صفقة [illegible] الحشد [illegible] ، [illegible] أثرها [illegible] في [illegible] ولم يكن أحد [illegible] في [illegible] الدار . حتى [illegible] من حلاوة الروح بالخادم والطباخ :

- الحمد لله ! هرب [illegible] . ولكن الحقيبة هي [illegible]

الناس المدير وصوفه . لقد أكلهم فضل الشيخ وبهتهم وانتهى الأمر .

وأردت أن أدفع بالحجاب إلى داخل « المصير » فيعدوا من بيكي العدد . وإذا بي أرى الناس مدير وصوفه ، يتوسطهم « الشيخ » ، حامل ، خارجين من الباب يتسابقون ، والضحك يكاد يقتلهم ضحكاً .



ثم انكشفت لي الحقيقة وأبدت الضحك . قال لي المدير باسماً :

ــ ألا تعرف « الشيخ » المليجي ، وبركاته وعقابه ؟ هذا هو الشيخ المليجي .. هل عرفته الآن ؟

فأشرت إلى الصدمة في جبهتي وقلت باسماً .

ــ معرفة تركت في أثراً .

فعاد يحنو « الشيخ » ، كما تقدم الفضل بعد أن مسح عن وجهه علائم المثل . وقال :

ــ الحمد لله على السلامة ! إن شاء الله فرجاً .

فصافحته صافحي

ـ مستحيل .. لا يلدغ ـ بل قل .لا يعض ـ مؤمن ..

فدور هو مكمل العبارة :

ـ من كل مرتين ... هذا صحيح . ولكن من قال لك أني سأكون كذلك في المرة القادمة ؟

ـ اذا قابلتني في المرة القادمة فكن كما شئت وشاءت لك براعتك .



ولم أقابله بعدها أبدا .. الى أن مات ودفن ابانه . ولم يعد لهذه المجالس و « النوادر » وجود .. وانقرض هذا النوع من الناس ، وانقرض معه نوع من المواهب الطبيعية يتفجر من السليقة السليمة ، كان لازما لادخال الانس على مجالس ذلك العهد

ان لكل عصر رجال أنسه .. ولكن عصر « النوادر » كان له رجال قلما يجود بمثلهم الزمان .

لا آسف على شيء أسفي على اني لم أقابل « الشيخ الليبي » مرة أخرى .. وان كنت على ثقة من أنه كان سيتركني في مرة أخرى أثرا لا يمحى .

ابليس ينتصر

اتخذ قوم شجرة ، حتى راحوا يعبدونها . فلما سمع بذلك
ناسك مؤمن بالله ، فحمل فأسه وذهب الى الشجرة ليقطعها

فلم يكد يقترب منهـا ، حتى ظهر له ابليس ، حائلا
بينه وبين الشجرة ، وهو يصيح به :

- مكانك أيها الرجل ! لماذا تريد قطعها ؟

- لأنها تضل الناس

- وما شأنك بهم ؟ دعهم في ضلالهم ! .

- كيف أدعهم ومن واجبي أن أهديهم ..

- من واجبك أن تترك الناس أحرارا ، يفعلون ما يحبون

- انهم ليسوا أحرارا ، انهم يخضعون الى وسوسـة
الشيطان ..

- أو تريد أن يخضعوا الى صوتك أنت ؟! .

- أريد أن يخضعوا الى صوت الله !..

- لن أدعك تقطع هذه الشجرة .

ـ لابد لي من أن أقطعها .

فأمسك إبليس بخناق الناسك وقبض الناسك على قرن الشيطان .. وتصارعا طويلا .. إلى أن انجلت المعركة عن انتصار الناسك .. فقد طرح الشيطان على الأرض وجلس على صدره وقال له :

ـ هل رأيت قوتي !

فقال إبليس المهزوم بصوت مخنوق :

ـ ما كنت أحسبك بهذه القوة .. دعني وافعل ما شئت .

فخلى الناسك سبيل الشيطان .. وكان الجهد الذي بذله في معركته قد نال منه .. فرجع إلى صومعته واستراح ليلته .

فلما كان اليوم التالي حمل فأسه ، وذهب يريد قطع الشجرة وإذا إبليس يخرج له من خلفها صائحا :

ـ أعدت اليوم أيضا تقطعها !؟

ـ قلت لك لابد لي من أن أقطعها

ـ أو تظنك قادرا على أن تغلبني اليوم أيضا ؟ .

ـ سأقاتلك حتى أعلي كلمة الحق ! .

ـ أرني إذن قدرتك !

وأمسك بخناقه .. فأمسك الساحر بعنقه .. وتعاركا وتصارعا .. الى أن أسفرت الموقعة عن سقوط الشيطان تحت قدمي الناسك .. فجلس على صدره وقال له :

– ما قولك الآن في قوتي ؟!

– حقا .. إن قوتك لعجيبة .. دعني وافعل ما تريد .

لفظها الشيطان بصوته المهدج المخنوق .. فأطلق الناسك سراحه .. وذهب الى صومعته واستلقى من التعب والإعياء حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب الى الشجرة فبرز له ابليس صائحا فيه :

– ألم ترجع عن عزمك أيها الرجل ؟!

– أبدا .. لابد من قطع دابر هذا الشر !

– أتحسب أني أتركك تفعل ؟!

– إن نازلتني فإني سأغلبك .

ففكر ابليس لحظة .. ورأى أن النزال والعراك والمصارعة مع هذا الرجل لن يتيح له أن ينتصر عليه .. فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة أو عقيدة .

فما من باب يستطيع ابليس أن ينفذ منه الى حصن هذا الرجل غير باب واحد .. الحيلة .

فلمعت عينا الملك وقال له بلهجة الواضح الشعوق :

ـ أتعرف ماذا أعرضك في قصر هذه الشجرة ؟ إني ما أعارضه إلا خشية عليك ورحمة بك . فمتى قطعتها ستعرض نفسك لسخط الجن من عبادها . فمالك وهذه المتاعب تجلبها على نفسك ؟ . اترك قطعها وأنا أحمل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على معيشتك . وتعيش في أمن وصحة وسلامة ! .

ـ دينارين !؟

ـ نعم . في كل يوم . تجدهما تحت وسادتك !

فأطرق المسكين مليا يفكر ثم رفع رأسه وقال لإبليس

ـ ومن يضمن لي تحقيق هذا الشرط !؟

ـ أعاهدك على ذلك . وستعرف صدق عهدي

ـ أتحلف .

ـ نعم . أحلف ..

ـ اتفقنا



ووضع إبليس يده في يد المسكين . وتعاهدا . وانصرف

ماسك الى صومعه وصار يستعط كل صباح ، ويمد يده ويدسها تحت وسادته فتخرج مدبــارين حتى انصرم الشهر . وفي ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت فارغة لقد قطع ابليس عـــنه فيض الذهب فغضب الناسك . ونهض فأخذ فأسه. وذهب الى قطع الشجرة فاعترضه ابليس في الطريق ، وصاح فيه :

ـ مكانك !.. الى اين ؟ .

ـ الى الشجرة . أقطعها !

فقهقه الشيطان ساخرا :

ـ تقطعها لانى قطعت عنك المال !

ـ بل لازيل اغوائه واطفىء مشعل الهداية .

ـ أنت ؟ ..

ـ أتهزأ بي أيها اللعين ؟! .

ـ لا تؤاخذنى ! منطرك يثير الضحك ! .

ـ أنت الذي تقول هذا ، أيها الكذوب المحتال ؟ .



وانقض الناسك على ابليس وقبض على قرنه . وتصارعا

خصمه . . وإذا المعركة تنجلي عن سقوط الملك تحت حافر إبليس . . لقد انتصر وجلس على صدر الملك مزهوا مختالا يقول له :

– أين قوتك الآن أيها الرجل ؟!

فخرج من صدر الملك المقهور صوت كالحشرجة يقول :

– أخبرني كيف غلبت أيها الشيطان !

فقال له إبليس :

– لما عصيت الله عصتني ، وما عصتك نفسك عصتك .. فلما قعدت صرعتني ، وما قامت معك صرعتك !



ليلة الزفاف

انطلقت أخيراً زغاريد ، ذلك القران الميمون في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وزف « العروسان » الى حجرتهما بعد أن رشا بالملح من عيون الحساد . وأغلق عليهما الباب وصارا وحدهما أخيراً . . وقد انحدرا لاهثين نحو تلك اللحظة التي لم تخلق مثل كل اللحظات ... تلك اللحظة التي تشع كلؤلؤة ساطعة في تاج الزمن ، زمان كل فرد على هذه الأرض ... من المهد الى اللحد ... تلك اللحظة التي تدل عليها ولا تدل . ومن أجلها احتشد المعارف والأصدقاء ، واحتفل الأهل والأقرباء ، ونصبت الموائد ، وقرعت الكؤوس ، ولعب المرح والأنس بالرؤوس ، وحمي الرقص وارتفع الغناء ، وسبح الحاضرون وعاموا في أمواج من الهناء ... جاءت تلك اللحظة ... قمة السهرة ، وقمة الحفلة ، ومحراب الليلة .. لحظة الخلوة بين العروسين وما لها من لحظة ! كل زوج ولا شك يذكر حيرته وهو يبحث في رأسه عن أول كلمة يخاطب بها عروسه وقد

صارا على انفراد . أتبدأ بكلمة جديدة أم كلمة فكهة . أم كلمة عاطفية ؟. وكل زوجة تذكر ولا ريب احساسها وهي تنتظر الكلمة الاولى من فم « عريسها » !

أما عروس الليلة فلم يبد عليها أنها تنتظر شيئا . فما كاد باب حجرة العـرس يغلق ، حتى تركت « عريسها » واتجهت الى منضدة الزينة وجلست ووضعت رأسها الجميل في كفيها . ورأى « العريس » منها ذلك ، فأقبل عليها يقول :

ـ أمتعبة أنت يا عزيزتي ؟ مجهود العرس أزعجك فيما أرى !..

فلم تجب ولم ير العريس وجهها الذي تحجبه يداها ، ولكنه لم يلبث أن رأى قطرة دمع تمر من بين أصابعهـا ، وتسقط على ثوب عرسها الأبيض فقال بصوت تهدهده حنان :

ـ أتبكين يا سوسو ؟!

فلم يسمع منها غير نشيج خافت . فتألم لها . انه يعلم السبب . ان سنية وحيدة أمها . وقد فقدت أباها منذ بضعة أعوام فالافتراق عن هذه الأم العزيزة التي كانت لها كل

نبي، ليس بالأمر اليسير. وهل هذه الفكرة هي التي كانت
تحيم عليها طول الحفلة. لقد كانت مضطربة واجمة ذاهلة،
قليلة الكلام نادرة الابتسام فحدب عليها، وألصق خده
براسها، وقال لها:

ـ لا تبكي يا عزيزتي سوزيه سأكون لك أما وأبا وزوجا
واخا. ولن أجعلك تشعرين أبدا أنك فقدت شيئا او
فارقت أحدا.

فأبعدت راسها عن خده، وأرادت أن تتكلم، ولكن
الدموع غلبتها. فبادر هو يقول لها:

ـ لا تتكلمي! إني أعرف ما تريدين أن تقولي. اطلقي
دموعك ولا تكتميها. هذا أمر طبيعي. لست أخشى إلا على
عينيك الجميلتين. ولكن البكاء في مثل هذه الحال يجلو
النفس، وعما قليل تشعرين بالراحة، ويشرق وجهك،
كأنه شمس تطلع بعد مطر خفيف لطيف.

فاهتزت كأن في جوفها معركة. ثم تشجعت وقالت
والدمع في عينيها:

ـ أريد أن أصارحك بشيء... هل تسمح لي؟

ـ بالطبع يا سوزتي بالطبع. صارحيني بكل ما في

نفسك ... الآن وحيد ؟ لا ينبغي أن يخفي أحدنا عن شريكه شيئاً

— نعم ، من واجبي أن أقول لك ... وأرجو أن لا تنام أو تغضب : إني أحب شخصاً آخر .

قذفتها بسرعة وقوة ، ثم استغرقت في البكاء ... ووقعت هذه العبارة في أذن العريس كأنها قذيفة ، وأدهشته المفاجأة، فلم يحس ألماً ولا غضباً ... لم يشعر بنفسه ولا بما حوله .. ولا بالوقت الذي مر قبل أن يتماسك ويثوب إلى رشده، ويعي مدلول ما سمع ... وينظر فيما ينبغي أن يصنع

وكان رجلاً رزيناً عاقلاً في نحو الخامسة والثلاثين ، علمته تجارب ماضيه المحترمة أن يزن الأمور ... فسرعان ما تمالك نفسه ، وقال بهدوء ممزوج بالمرارة والغضب المهذب

— ألا ترين أن هذا التصريح جاء متأخراً بعض الوقت ؟ هل كان لديك مانع من الإفضاء به إلي في أيام الخطبة أو قبل إبرام العقد على الأقل ؟

— كان يجب أن يتم هذا القران إرضاء لأمي المسكينة ... كنت أراها أتعس مخلوقات الأرض كلما حاولت إقناعها بفسخ خطبتي . لقد كان أملها الوحيد ، وحلمها الدائم أن

رأى زوجه رجل مثلك ! وقد خانتني شجاعتي فلم أجرؤ على صدمها في أملها.. وهي منه صفعة مرهقة إن الله يعلم كم جاهدت كي أكتم عاطفتي وأخفي حبي ، وكم أردت آخر الأمر أن أفهم نفسي أن الماضي قد انتهى بالزواج .. وقد خيل إلى أن قلبي قد استجاب لنداء العقل، لكن الصدفة ، وقد تم الأمر ، وأنسى كل شيء جميعه .. سمعت صرخات قلبي تدوي جهرا وتكاد تهدم كياني، فأيقنت أني لن أستطيع المضي في خداع نفسي .. ولا يليق بي المضي في خداعك ..

كف يوسف حديثه وهي تسمع بكاءها ونشيجها .. وأطرق برأسه وفكر فيما نطقت به قليلا . ثم قال :

— تصرفك سليم ، ولا غبار عليه .. يعني أني من جانبي على تمام الاستعداد لمعونتك فيما يحبه الله عزيزتي .. الحق معك . لا يجب أن تخدعي نفسك . استمعي إلى صوت قلبك . ومادام حبك صادقا .. فليس لأحد عليك سبيل .. إني أمنحك حريتك منذ الآن ،وأضع نفسي في خدمتك، لنتدبر الأمر معا .. كيف نخرج من هذا الموقف أولا؟ هبي أني طلقتك الليلة ، ماذا سيحصل ؟ ستكون فضيحة

في أوساطها بك ، ومصدراً للأقاويل والإشاعات حولك في
مصر . ثم هي صدمة قاسية لوالدتك وأنت ابني أشفقت
عليها من صدمة أخف وأهون . إذن هذا نصيحتي ! فكر
معي قليلا ...

— أصبت ... إن طلاقي منها فضيحة

— فابحث عن حل غير هذا . أنا أبحث جيدا .

— ها أنذا أبحث ..

وجلس كل منهما يفكر ، وقد حمل رأسه في كفه
وأخيرا نهض العريس صائحا :

— وجدت حلا ، ليس كل ما فيه الخير ، ولكنه يخفف عنك
بعض العسر ، ويمنع بعض القدرة على التشهير . يمكنك أن
أطلقك بعد شهر أو شهرين ، وفي خلال هذه الفترة أظهر
أمام الناس ، وعلى الأخص أمام والدتك ، أني فظ الخلق
شرس الطباع وأني أسيء معاملتك ... فهذا يعدها أعداد
زوجة تتحمل معنى الطلاق بل قد ينفد صبرها في
فتحثك قبل انقضاء المدة على طلب الانفصال ، فإذا تم ذلك
رأت بعدئذ خلاصها وتحقق أملها في ذلك الذي اختارته فما
رأيك في هذا الحل ؟

ـ مدهش !..

لمصها وهي تريد أن تكفكف دمعها و تعب ، فلم تجد غير طرف ثوبها . فأسرع العريس قائلا قبل أن تمسح به

ـ انتظري ... انتظري ... خذي منديلي ، ولا توسخي ثوب عرسك . حافظي عليه للقران الآخر !.

تناولت منديله وهي تقول :

ـ إنك رجل ... إني آسفة ... لماذا أنت حتى أعكر عليك صفو هذه الليلة ؟ ولماذا حسب أنت حتى تصدم هكذا في عروستك ؟ ... وبنيت عليه آمالا كبارا على هذا الزواج .

فأطرق برهة ... ثم قال كالمخاطب نفسه

ـ لا تذكريني ... أقصد ... لا تلقي على هذا الأمر أهمية

ـ إني متألمة لك ...

ـ لا تتألمي لي ... إني بخير ... إنك على كل حال لست مسئولة عما وقع لي .. حظي هكذا .. حقيقة لقد وضعت في هذا الزواج أملي ، لأني كنت دائما رجلا شحيحا بعواطفه شحيحا بفؤاده . استغرقني جاد العمل ، فلم أعرف

من حياة اللهو الا القليل ، ولم أعط امرأة من نفسي شيئاً
مسا ... ادخرت كل ما في نفسي من حب لزوجة التي
هي نصيبي كما أحسبها في أوقات فراغي وهي الى جانبي،
وأحمل ما أمنحها به من حدب وعطف وحب وحنان ،
كدسته كما يدخر البخيل على مر الأعوام من أجلها . ولكن
القدر أراد ان نفسي قد كثرت كما يصيب أحيانا البخلاء
فما يكثرون ... لانه يحلو له ان يسخر بهم ممن يتركون
منهم في هدوء ... فرص لهم حتى يقربوا منه ، فقط
به بطرق اسمه ، ... جمهورهم هناك

ـ كل ذلك ... أنا محرومة

ـ لا ... لا شأن لك بالأمر ... ان مثل هذا ـ
ذلك الذي ظل يجمع المال ويدخره ليشتري به عيناً ، ...
ثم له ذلك واشترى العين وحده محجوراً عليها أو مرهونة
لآخر ... عاريا ... لا ... فما ذنب العين في
هذه الحال ؟ ... الادخار ... والحب ... وليس
... شعري ... ما في الحب يأتك ما في ...

ـ ان كلامك يحز في نفسي كسكين ... لست أدري
ماذا في امكاني أن أصنع لك . من يدري ؟ ربما عوضك

القدر على حبرا وحدك انعب وروحه أحلامك .
اني لم أكن بك حديرة

هذا لطف منك يا سو به . سيبهانم اعذرني . لم أعد أدري كيف أناديك

ـ عجبا ادني كما كنت تناديني منذ لحظة ..

ـ أمام والدتك نعم . أما ونحن وحدنا فلا حق لي ...

ـ لماذا ؟

ـ لم يعد لى حق بدليك أب منذ الآن ـ كما قلت لك ـ أحسنه عني ، ولا أدري هذا صنع الآن ، ووالدتك في البيت ، ولابد لنا من المكث في حجرة واحدة ..
اسمعي . أنت لك السرير ، وأنا لى الأرض هنا بجوار الباب في ذلك الركن البعيد . هيا انهضي الى فراشك أنت في أشد الحاجة الى الراحة التامة ، بعد كل هذه الأحداث المثيرة لأعصابك

ـ تنام على الأرض ؟

ـ لا يوجد وضع آخر

ـ هذا صحيح ، مع الأسف ، ولكن سامحيني . أرجوك

أمكننا أن أحمل ليلة عرسك في هذه الصورة غير البهيجة!

ـ ماله ليلة عرسي ! إني راضية بها هل تاح لكل عريس مثلها ؟ نفى أنه سيظل لها دائما في نفسي ذكرى عزيزة ..

ـ أنت تريد أن تنفي عني كل مسئولية . على كل حال الوقت الآن غير مناسب لمحادثتك . فلأعد لك مكانا مريحا لنفسك . فأنت أبدى إنهاكك ولا شك هذه المحنة غير السارة . أرى فوق السرير مرتبتين ، فلأفرش واحدة منهما على الأرض . ولكن توزيع المكانين بيننا بالقرعة . ما رأيك ؟ .

قال لها مبتسما :

ـ موافق . إني متعطش إلى سوء حظي

ونهضت من فورها . ونهض هو . فتعاونا على نقل إحدى حشيتي السرير إلى ركن من أركان الحجرة وأخذت هي في وضع الوسائد وتهيئة ذلك الفراش الأرضي ، حتى فرغت منه ، فطلبت إليه عمل ورقات القرعة ، واتفقا على أن الذي يخرج له الوجه ذو الصورة يظفر بالسرير .

ورمت بالقطعة النقدية في الهواء ، فاذا هي الصورة .

فقال لها :

ـ ألم أقل لك اني أعرف بختي ؟!

ـ اني أخطأت الرمي ، فلنعد القرعة من جديد

ـ لا .. لا .. من فضلك .. حافظي على مبدأك .. الصراحة والصدق وعدم الخداع .. لقد كسبت أنت وخسرت أنا .. فلا محل للمراوغة ولا لزوم للمحاولة !

فطلت على مضض .. وخرج من الحجرة الى أن خلعت ملابسها واندست في سريرها ، فعاد وخلع ملابسه وأوى الى فراشه .. ومدت ذراعها الصغيرة المرمرية الى زر المصباح مترددة وهي تقول مشاكسة .

ـ هل أطفىء النور ؟

ـ اذا شئت .. وأتمنى لك نوماً هادئاً .. وحلماً سعيداً مع من اخترته قلبك .. واني واثق من أنك أحسنت الاختيار ولو أنك لم تحدثني عنه

ـ انه ضابط .. ملازم أول .

ـ وشاب جميل باسم ، ويصغرني بعشر سنوات على الأقل فلا جدوى في منافسته .. ولا أمل في مقاومة

بعضها همساً وهو يخاطب نفسه ، عيناه .

ـ ماذا تقول ؟

ـ لا شيء . . . اطفئي النور . . . تصبحي على خير



مرت الأيام والزوج يمثل الدور المتفق عليه خير تمثيل، ويشعر حنانه يزيد أنه ليس الزوج المثالي الذي كانت تتمناه لوحيدتها .. غير أن المشكلة التي استعصت عليه هي مسألة الحجرة المشتركة أو هذه الحال بينه وبين زوجته الرائعة . لا يمكن أن يدوم على هذا الوضع . إنه لا يستطيع النوم وهي معه في غرفة واحدة ، هكذا كأنهما غريبان ، وبينهما حيوان شهوان ، بالحرمان يزأر ويلوعه سعار . . . إنه يحس كأن أنفاسها الحارة تلفح وجهه كل حركة منها تفزع النفس من أعماقه ، إذا سعلت نهض يجرد نفسه من غطائه يدثرها به . . . وإذا نفذ شعاع القمر من النافذة ، قام على أصابعه يتأمل وجهها الوديع السابح في ضوئه ، ثم يسدل بعد ذلك الأستار ، حتى لا يزعجها النور . وإذا تقلبت على أحد جنبيها قلق هو أيضاً . وإذا نهضت بالليل لحاجة ، تصنع النوم العميق وكتم أنفاسه

مضطربة ، حتى لا تعلم أنه مضطرب . انها جثة دائمة نائمة فوق سرير   ولكنها مستعصية ثائرة ساهرة في جوفه . كل شيء منها يغيظ مضجعه . ويحطم أعصابه وإرادته ويجعله يضطرب في فراشه كأنه ريشة رائحة جسدها في أنفه ، وبهذائها المتقطع في النوم ، وشخيرها الخفيف الهامس المتقطع ، وطريقتها العجيبة في نومها وهي منبطحة على وجهها ، شعرها المنكوش ونحرها العاري ووسادتها التي تضغطها وتضمها في حضنها   انه عذاب لا يستطيع أن يتحمله رجل من لحم ودم   انه يتحمل ذلك ليلة وليلتين وثلاثا وأربعا . ويكاد يمضي الأسبوع   ولكن المضي في ذلك فوق الطاقة والاحتمال   كيف يصنع ؟ وأين ليس فيه نوم غير المكتب أو البهو أو قاعة حجرتها هذه ثم حجرة أخرى تشغلها حماته ، أينام في قاعة الطعام ، وما عسى أن يقول الخدم والحشم في هذا التصرف من عريس ؟ وحماته لن تفارقهم أبدا اذ ليس لها غير ابنتها ملاذ لم ير الآن بعسر صبرا جميلا وأن يسرع في انهاء مهمته وجعل يشتد يوما بعد يوم في اظهار غلظة طبعه وحماته تتغاضى حرصا على هناء ابنتها وابنتها لم تكن مثقفة لتمثيل دورها . فما كان يبدو عليها غضب من طبع زوجها

« الموهومة » . ذلك انها كانت تعلم انه اذا خلا بها في اسلوب حتى يعتذر لها عن اساءات النهار . واسمى بها الأمر أن صارت تسر لهذا اللون من التمثيل كأنها طفلة وتكاد تصحت بدون أن تغضب . . وهو يصرها بحبه ، ويحثها على التظاهر بالغضب . بل كانت تعنف أحيانا وتدافع عنه أمام أمها أو الزائرين اذا وجه الى طبعه نقد . . فتفلت من بين شفتيها كلمة « والله مظلوم ! »

الى أن جاء يوم حضر فيه لزوج خاطر وجد فيه العلاج لهذا الليل . ذلك أن يلجأ الى منزل صديق قديم عزب ، يرتاح عنده وينام من العصر حتى المساء . وأخبر حماته وزوجته أن أعمالا طرأت ترغمه على عدم العودة وصار لا يعود الا في العاشرة . وأحيانا في منتصف الليل . ولا صبر عنده في ذلك ، فهذا يمكن أن يدخل ضمن برنامج التمثيل لدوره البغيض

وعاد ذات ليلة في الثانية صباحا . . فقد دعي الى عيد ميلاد صديق ، وكانت ليلة رثة فيها طرب وغناء ومراح ورأى لدهشته ، زوجه شعلة في سريرها مستقطة معطة .. لاتغضب تمثيلا بل تغضب غضبا حقيقيا . فلما

أبدى لها الصدر وبين لها السن ... سكتت غير مقتنعة ولا راضية .

ومرت أسابيع ، فاذا هي تعلن لابنها يوما أن تذهب به الى السينما ، ورأى حماته تحبذ الفكرة قائلة .

– نعم ... اذهب يا ابني بعروستك وتنزه معها كما يفعل كل « العرسان » !

فرأى من واجبه أن يكون عند حسن الأدب فقال

– ما كان ينقصني الا هذا ... أن أخرج مع بنتك الى السينما ؟!

– وما المانع ؟ أليست عروستك الجميلة ؟ انها عروس تشرف أحسن عريس !

– هذا رأيك أنت وحدك ..

– عيب يا ابني

– على كل حال ، ليس عندي وقت أضيعه في نزهة بلا هدف وهنا أحمر وجه الزوجة غضبا وقهرا

– وعندك وقت تضيعه في السهر ، بعد منتصف الليل ؟

– هذا شأني

– لن أخرج معك في حياتي ... أبدا . أبدا

وتركته وانصرفت مسرعة الى حجرتها .. وانصرف الخادم أسفاً وأما . أما هو فقد خرج الى شأنه ، كما تعود أن يصنع في كل يوم ولم يلق بعد شيء مما حدث ، كالمثل بعد تركه حشه انصرح ، وقد ضرب عليها وطص وخرج وعاد في المساء فوجد . وجدته في سريره ، ووجهها في وسادتها وقد بللته بدموعها ولم تحرك بدخوله وحسبها هو نائمة ، ولا تشهق حالت ، وشيع غير مرتفع نبه . فذهب اليها بهدوء

ـ مالك ؟ مالك ؟

فرفعت رأسها من فوق الوسادة ، والتفتت اليه وحبوت العبرات تلمع على خديها ولم تجب فقال لها يحنان

ـ لم أرك تبكين هكذا منذ زمن بعيد أهو أيضاً ؟

ـ من هو ؟

ـ الملازم

ـ أي ملازم ؟ ..

لعطفه مستدركة ، ثم قالت مسرعة بنبرة عتاب مرة

ـ لا لا تحاول أن تهرب من اساءتك .. بل اساءاتك المتكررة . اني لا أستطيع أن أحتمل منك أكثر مما احتملت

هذا كثير علي . ما من امرأة تتحمل هذا من رجل

- ماذا فعلت يا ناس ؟..

- أتنكر أنك آذيتني اليوم ؟

- تمثيل فقط .

- هذه حجة باطلة . إنك الآن صرت تخجل من هذا المنزل ستارا تخفي وراءه كرهك لي .

- سبحان الله !

- إنك الآن أصبحت تتحاشى رؤيتي أطول وقت مستطاع أتنكر ذلك ؟ إنك تنصرف مبكرا في الصباح وأنا نائمة ولا تعود إلا في الغداء . ثم تخرج فلا أراك إلا في العاشرة أو الحادية عشرة أو منتصف الليل . إني أسائلك وأسائل نفسي : ماذا في وجهي ينفرك أو في شخصي ينفرك ؟

- أهذا معقول ؟

- أتقسم أنك لا تنفر مني ؟

- أقسم أن هذا لم يخطر لي على بال

- لقد كنت طريفا معي في أول عهدنا .. شديد العطف علي .. كثير الحنان ..

ـ وأنا الآن كما كنت .. لم أتغير

نعم .. أحياناً ونحن وحدنا في هذه الحجرة تتصرف معي ، ولكنك أمام الناس

ـ بالطبع .. أمام الناس يجب أن أكون غير طبيعي طبق خطته

ـ أي خطة .. أعرف أنها أصبحت خطة سخيفة ؟!

ـ ولكن !.. هذا لابد منه

ـ كان يسرني تمثيل أول الأمر .. ولكني الآن أراك جاداً فيه ، ويبدو لي كأنه حقيقة

ـ كثرة الممارسة تعلم الإتقان

ـ كنت أفضل أن لا نتقن هذا الدور .. حتى لا يخالجني شك .. كل كلمة منك الآن تعطيني حقيقة ، وينبغي يجب أن نحذر قليلاً .. ثم بدأ الأمر في نظري تمثيلاً. بعد أحببت كل لحظة رقيقة .. لماذا لا يمتد إتقان دورك أيضاً إلى ما يسرني ؟ كنت تقول لي أمام والدي « يا سونيه واحبيبتي » .. يا سونتي ، ماذا حدث ؟ لماذا لا أسمع هذا النداء منك اليوم ؟

ـ حصل تغيير في الخطة .. نظراً لضيق الوقت

ـ متى الوقت ؟

ـ ألا تعرفين ؟ نحن اليوم في آخر أسبوع ... ولم يبق أمامنا سوى بضعة أيام لنفترق .

ـ بهذه السرعة ؟ أواثق أنك لم تخطيء ؟

ـ اطمئني ! إني لا أخطيء في الحساب ... وكل يوم يمر أعده بكل دقة .

ـ تعد الأيام لتحقق رغبتك !

ـ أنا ؟!

ـ لم يبق إلا سوى بضعة أيام لنفترق ! ما أشد سرورك ! حدثني ماذا ستفعل بعد ذلك اليوم ؟ وأين ستسكن ؟

ـ لا أدري ... لم أضع بعد برنامجا لحياتي المستقبلة

ـ كم أتمنى أن تكون سعيدا في حياتك المستقبلة . ترى هل ستذكر بالخير أو بالشر أيامي معك ؟

ـ بالخير طبعا

ـ وهل ستكون شخصي عزيزا عليك !..

ـ دائما

ـ أشكرك

منى الآن عادته المال . لقد تأخرت عن موعد نومك ..

وجذب الأغطية ، وغطاها جيدا ، ومست كفه وجهها عفوا ، فسرعت خدها في يده ، كأنها قطة تمسح في صاحبها وأحس دفء ذلك الخد المخملي الأسيل ، وسحب يده برفق وأطفأ النور في سكون ، وذهب الى فراشه صامتا .

مرت الأيام الباقية مرا سريعا ، في جو غريب رهيب فهي قليلة الكلام نادرة الابتسام ، بادية الكآبة وكان على وجهها من الحزن المكبوت سحابة قاتمة اذا تحدث بعفوية فيه أشياء ، يفهمها ويعلمها ويهمس لها في أعماقه كأنه يقصده بلطفه . وقد شعر عنه مهمته ، فجعل يتحامل على نفسه ليستطيع أن يمضي في اساءته لها أمام والديها .

وتهيأت أخيرا الظروف التي يستطيع فيها اصدار ذلك الأمر الحاسم ، دون أن تتأثر الأم كثيرا أو تحدث ضجة تسمعها الزوجة

جاءت الليلة الأخيرة فقصد الزوج أن يعود في الهزيع الأخير من الليل ، حتى يكون التعب قد أرغمها على النوم ،

ولكنه وحدها ساهرة مستلقية على ظهرها فوق سريرها ، وضوء المصباح على وجهها الشاحب ، وكأنها تشخص ببصرها الى السقف . فقلت لها :

— عجبا !.. ألم تنامي بعد !

— كنت أنتظر عودتك

— لو كنت أعلم ذلك جئت مبكرا

— انك تعلم ذلك

— ما هذه اللهجة المكتئبة والوجه الحزين ؟

— ليس هناك ما يدعوني الى الفرح والاغتباط

— على العكس .. كان يجب الليلة ان تكوني مسرورة فرحة .. غدا تكونين حرة .. وتستطيعين الزواج ممن تحبين

— انك تعبر عن احساسك أنت

— لا شأن لك باحساسي من فعلتك ، اني منذ خلوت بك في هذه الحجرة ، في ليلتنا الاولى ، وأنا لا أهتم الا بشعورك أنت وحدك وموقفك ومشكلتك وقد عاهدتك على ذلك . واظن اني قد بررت بالوعد !

— نعم .. لقد كنت رجلا شريفا

ـ الحمد لله

ووقع بينهما صمت عميق ... واضطربت في شفتيه كلمات ، لم تجرؤ على اخراجها. وأخيرا شجعت وقالت

ـ اذن أزفت الساعة ..

ـ أعتقد ذلك .

ـ هل ... هل تحب أن تعرف شعوري الآن .. أو ترى من مصلحتك أن تجهله ؟ . ثق أنه يشق على نفسي احراجك ... أنى من الخير لك أن أسحب كلامي ، ولا أسألك شيئا ولكن ما في نفسي مكنون ... ولا يجب أن اطمع في نيلك أكثر من ذلك ..

ـ اصفحي وكوني صريحة دائما

ـ اذا طلقتني فاني أموت

قالتها سريعا ، واخفت وجهها في كفيها ... ولم يكن في صدقها ... شك . وكان صوتها صوت الصدق ... لو أنه أعطى ... . فجلس زوجها على حافة سريرها ، وامسك بيدها وقال :

ـ اسمعي ... من العبث على أن أنسى أنك

أحبت شخصاً آخر .. ذلك الحب الذي رأيت بعيني آثاره في وجهك ليلة عرسي !..

ـ أعلم انك لى عذر فى ذلك وأحب ان تنافسي العذاب الذي تراه ، ولكني أرجوك ان تصدقني اذا قلت لك ان عواطفي نحو ذلك الشخص كانت عواطف طفلة لم تعرف بعد ما هو الحب !

ـ اني لا أكذبك مطلقاً غير اني واثق انك تقدرين موقفي ..

ـ نعم ، أقدر موقفك . وادرك ما يجول بخاطرك . واعرف السؤال الذي منعك أدبك من أن تسألني اياه ولكني اقسم لك انه لم يكن بيني وبين ذلك الشخص علاقة بحجل أو صلة تشين . كل ما في الامر انه كان جاره يوم كنا نعيش في حي « العباسية » وكنت ككل فتاة يبهرها ذلك الزي العسكري والقوام الممشوق ، وكان يحييني واحييه كلما التقينا في الطريق ، وكان يحدثني في التليفون ولكني لم أخرج معه قط ولم نجتمع على انفراد أؤكد لك ذلك واحلف بكل يمين وسيأتي الوقت الذي تتحقق فيه من صدق قولي .

- إني أرى الصدق في عينيك . وهذا يكفيني . ولكني أخاف من أمر آخر ... خصصته شعورك نحوي ... هل أنت واثقة ؟

- كل الثقة

- كيف تقطعين بذلك ؟

- إنك مرتاب ، لأنك لا تعرف الحب . ولكني أعرفه هو . إنه ليس في تلك النهزة العابرة التي تخطف البصر ، ولا النزوة الطائشة التي ترج القلوب ... ولكنه شيء يكون على مهل كالشيء أنه يسري فيه فيه ، ويربط عقدة عقدة ، كتسلل الشرايين ... هكذا يسري الرباط بين قلبين مهما شككت في قولي ... فلن أستطيع أن أتخلى أبدا عنك

إنك ضروري لي ... بكل حسناتك وسيئاتك

إنك لازم لي ، بمجرد وجودك في هذه الحجرة ... أسمع سعالك ، ويؤرقني غيابك ... ويسرني عودتك ، ولو بعد منتصف الليل ، ويضحكني بحثك في الصباح عن جواربك تحت الوسائد وعن حذائك تحت الأسرة ، ووجهك الملطخ بالصابون وأنت تحلق ... وجرحك لوجهك بالموسى ، وسبابك مديرك على خروجك ... واعتمادك على لأذكرك بمحفظتك الملقاة على منضدتي ... وإسرافك الساذجة

الجديدة ، وأنا أتمطى في الصباح وأتثاءب ، وعضضت أناملك
وصاحك النشيج أمام والدي ، وكلامك لي عن عمك
كأني أفهم دعاته . ثم تذكرت فجأة أني لست حبيبة لك
قدي مع الكعب . ثم بقيت تقبض وتدللني وتلاطفني
وتطرى ثوبي الجديد ، ثم غنائك في الحمام عرفتها
وتعلمتها الآخر يجب أن يستحي ويحمر ، والأرز
يؤكل مع الخضر . حتى يومئذ عرفت في أي ساعة
من الليل تكون على حافة الأسرار كيف تريد أن أحكي
عن كل هذا ؟. تلك هنات صغيرة ، ولكنها هي الحدث
الدفعة الوثيقة في « ربكو » الحب الروحي ..

ـ « زبكو » يا له من تعبير ! لا تنس الأمر العسير
من قصصك ! إنها خطيرة « وهي في يدك أنت »

فضحك ضحكة رفيعة ثم دلك سره حد

ـ لا تحتفظ شيئاً مني أبداً ...

فاحترق منه ثم رفع رأسه وقال :

ـ سوية دعي لي وقتاً للتفكير !

ـ لم أسمع منك لفظ « سوية » منذ دهور ! لم كل
هذا الخوف مني ؟ .

ـ ليس منك . ولكن على كبرى كبرياء الحب التي ادخرها في قلبه . نامي يا سونيه الآن وفي الصباح نفكر وقد يأتي الفرج .

وغطاها كما اعتاد أن يفعل ، وأطفأ النور وذهب الى فرشته الأرضي في ركن الحجرة .

ولم يكد يأوي اليه ، ويسحب غطاءه عليه ، حتى سمع حسون سونيه تثب من سريرها . واذا هي قد ذهبت الى فراشـــه ، واندست تحت الغطاء الى جواره واحتضنته والتصقت بجسده وهي تقول :

ـ أنت زوجي أمام الله والناس وقلبي ، ولن تفلت من بين ذراعي .. أبدا .

وطوقته وضمته. واذا هو يجد نفسه في مكان الوسادة التي اعتادت أن تحتضنها ليلا ..

وكانت تلك هي ليـــلة عرسهما ، ولعلها أول مرة في تاريخ الزواج يهجر فيها العـــروسان سرير الزفاف ، ليفترشا الأرض سعيدين ...

طريد الفردوس

ـ سنذهب الى الفردوس ...

ـ بعد عمر طويل ان شاء الله !

ـ الآن

قالها صاحبي المرح ، وهو يدخل بي ذلك البيت ، حديقة من حدائق القاهرة ، كتب على بابها بخط أخضر « دار الفردوس »

واجتزنا الممر وجلسنا الى مائدة ، يبدو أنها محجوزة له ، موضوعة عليه . وأدار بصره في المكان وحيا بطرف صاحب الدار وأعوانه ، وابتسامة حور الحان وولدانه . وصفق طلبا الشراب وهو نشو :

ـ قال الله تعالى : وما الحياة الدنيا الا متاع ...

ـ أكمل الآية من فضلك ...

ـ لم يتسع فؤادي لأكثر من هذه الجملة ...

وامتلأ المكان بالأقداح ، وأراد صاحبي أن يقدم الى قدحا ، فقلت له :

— ذوقي قد لاحت به كأسي ولا حاجة بي أن أردعليها قدح خمر .. إذا أردت أن تكرمني فاطلب لي عشاء!

فأذعن لرغبتي . . وطلب لي الطعام ، فصمت آلتهم ، وجعل هو يرشف من كأسه . . . وعوب .

— يعجبني أن يعرف الإنسان له ذوقه . . إذا عرف ذوقه عرفنا حدوده . . وإذا عرف حدوده لزمها وأمن أن يتعداها . . وهأنذا قد رغبت أن تتعدى حدودك سأقص عليك قصة لو أنها بسبب من وحي شرابي ، لقد وقعت بالفعل وفي هذا المكان بالذات . . وإذا لم تصدقني فسل كل هؤلاء الحاضرين . . ولكنك تعرف أني لم أكذب عليك يوما ..

فلم نستطع غير السماع بعدما أن يحيب . . وكشف عن رأسي علامة الإصابة . . فمضى الصديق يروي قصته:

— لست أذكر هل سبق لي أن حدثتك عن بنت شيخ الصائغ الذي يضرب به المثل في الريف ، الشيخ عشش .. رجل ولد بعيب في رأسه ، ولكنه لم ير بها غير السماء . . ويقولون إنه ما زال من بطن أمه ، ووضعوه في إناء من زجاج وحبسوا عنه ، حتى لا ينفذ إليه هواء

الشر ، ولا سمع ابنه جرثومة من جرائم الشر . . رجل لا يعرف ما هو الذنب ، ولا السيئة ولا الرأي ولا المعصية . ما كان مصره الا ساجدا أو هائما في ملكوت الله ، لا يلتفت الى نفسه ولا الى مرجوه . . ولا يفرق بين الناس والهوام . . لم يؤذ انسانا ، ولا بعوضة ، ولا ملك من دنياه غير مسبحة من حصى ، وغير موسى يحلق بها شعر رأسه ، وغير عمامته الممزقة ، وأسماله المهلهلة ، ولحيته المرسلة . . هكذا عاش ، يأكل من عشب الأرض أحيانا كأنه دابة ، ويقصم ما بقي في حجره أحيانا من كسرات المحسنين على غفلة منه أو سهوة ، فهو لا يسأل أحدا شيئا . ولا يطلب الى الدنيا متاعا . . الى أن مات الشيخ ذات يوم ولم يبلغ الاربعين . . وكنت مصادفة في الريف ، وأبصرته بعيني مع غيري من الناس ، وهو ملقى في مكانه ، مسجى على الغبراء ، وقد طرحت عنه عمامته فبدا رأسه الحليق ، كالصخرة اللامعة الملساء ، وسقطت الى جانبه المسبحة ، وظهرت من حزامه يد الموسى . . وسكنت حركة لحيته التي ما كانت تهتز الا لذكر الله . . ووقعت على الناس رحمة به ، فأجمعوا على أن يبنوا عليه ضريحا . . وما تركت الريف حتى كان الضريح قائما على جثمان الشيخ عشش ، وقد شاهدت

بصري في اقامه ، وقلبي حاشٍ بالتأثر ، ونفسي فياضة بالخشوع ... وعدت الى القاهرة ، وعدت الى عملي ، فاتيه الله ... وجدتني قدمي الى مكاني المألوف من هذه الحانة . فما عن الا شر ، لم تكد النسمو على أعصابي عبر لحظات .. ومرت أيام ... وإذا بي أسمع جلبة من مكاني هذا ، فاستدرت فأبصرت على هذه البلدة من حلقي شبح دراويش ، قد أحاط به خدم المحل يحاورونه ويخرجونه ويفهمونه أن الموضع ليس موضعه ، وأن من الخير له أن ينصرف بالحسنى ، فسمعت المحاورة ، ثم سددت لحظي الى الشيخ المصر ... ويا هول ما رأيت ! كلا ... انه ليس الوهم ولا السكر ولا الخوف ... من هو الشيخ علي بشخصه ولحيته ودمه وعمامته وأسنانه وسبحته ومسواكه . وتركني عني وعلت سحابا من قهوة نفسه أسمع بها عن السطلة ... ثم سألت صاحب الحانة أن يتخلى عني ويتسنى أن عنه من خدمة المحل أن مخصص صحون العطر الى ربه أو الأمر ، ولكنه خضعا لاصراري ، ولم أتركهما حتى أقرا واعترفا بي ثالث الى رشدي ، فالتفت لصوابي ... فتقدمت الى الشيخ ، وبحثت عنه الخدم ، وقلت له بصوت متهدج

- ما اسمك أيها الشيخ ؟ ..

فما رعى الا قوته ، محمد وصراحه وثبات :

- عشى !

وكان الصوت صوته ، واسمه اسمه ، فكدت أجن ، وغضبت أستفسر منه .

- الشيخ عشى من بلدة ..

فذكر لي اسم البلدة والقرية من ذلك الريف مما لم يدع في نفسي ذرة من شك .

- أكان الصريع الذي سمعت في

- نعم

- وكيف تركت صريعا وجئت هنا ؟ لقد أبصرتك بعيني ...

- نعم . فقد مت حقا . وأردت أن أدخل الفردوس ولكنهم طردوني !

- الفردوس ؟! . أيمكن أن يصل الإنسان الى هذا الحد ؟ ألا يستطيع أيها المخلوق أن يفرق بين الفردوس الذي في السماء ، وبين الفردوس الذي في شارع عماد الدين ؟!

— لا .. لم يحصل منى شىء ! لقد صعدت فعلا الى السماء، وطرقت باب الجنة، فمنعنى حراسها من الدخول، وأعلنوا الى أنى لست من أهلها، ونصحوا لى أن أطرق باب النار، فصدعت بالأمر بعد حين وطرقت باب النار، فمنعنى حراسها أيضا من الدخول، وأعلنوا الى انى لست كذلك من أهلها. فتحيرت فى أمرى، ووقفت هناك سائلا الهداية، فطلبت الى من معى، وأخبرا الى انى ليس فى السماء موضع أوضع فيه. لأن الدنيا معركة بين الخير والشر، وما زالت بين الفضيلة والرذيلة تقوم فى نفس الانسان، فاذا انتصر الخير دخل الانسان مملكة الخير وهى الفردوس، واذا انتصر الشر دخل مملكة الشر وهى الجحيم.

أما أنا فلم تقم فى نفسى معركة، ولم تحدث المعارك، ولم أواجه الشر لأغلبه. فأنا فى نظرهم كالفار من الميدان، أو الهارب من الامتحان، فكيف يجوز لهم أن يثيبونى أو يعاقبونى، وأنا لم أعرض نفسى لامتحان الحياة، حتى تظهر معدنها الخير من معدنها الشرير؟ انى فى نظرهم غشاش مخادع، حاول أن يسرق النيل ليل الجائزة دون أن يواجه الخطر! وانتهى أمرهم الى اعلان هذا القرار فى أمرى: وهو اعادتى الى حياتى الاولى واعتبارها كأن لم

بكى ، وطردى من السماء ، لأعش مرة أخرى على الأرض ، بنفس جسمى وروحى وكتبى الأولى ، على أن أتقدم للامتحان العسير وأواجه البشر وأمور الرديئة ليعرفوا بعد ذلك من أمرى ما ظهر وما استتر . وألقوا بى الى الدنيا من جديد بعين ثيابى وهيئتى ، فوقعت على القاهرة ، وأنا لم أزل فريسة حيرتى وبى من ضياع جنتى ، أردد كالمجنون عن غير وعى : « الفردوس ... الفردوس !! » فدفعنى أحدهم اشارة الى هــذا المكان قائلا لى : « ها هو ذا الفردوس ! » فدخلت ، واذا بى أجد فيه أعجب من فردوسى نفسه ، حتى أعلمتنى أنت أيها الرجل الطيب .

عجبت لقصة الشيخ ، وأخذتنى به شفقة . وقلت له :

ـ لا عجب أيها الشيخ المبروك . ما حدث لك لا يحدث لأى انسان . انما هى كرامة من كرامات أولياء الله . أن يسمح لبشر أن يعيش مرتين فى هذه الدنيا .

ثم أنهضته برفق وأخذته بالحزم الى مائدتى ، وقلت له :

ـ والآن ، ماذا تنوى أن تصنع فى حياتك الجديدة ؟..

ـ أواجه البشر .. اذا أردت أن تحمينى أيها الرجـل الطيب فدلنى أين أجد البشر ..

ضحكت قليلا ، وقلت :

ـ هذا شيء بسيط .. وان كنت شخصا ليس بالداخل الضالع في هذا السبيل .. ولكني أستطيع على كل حال أن أعرف بالشر في أهول مظاهره ..

وصفقت للساقي فحضر .. فقلت له :

ـ زجاجة شمبانيا لفصيلة الشيخ !.

فحملق « الجرسون » في وجهي ثم تنبه وأسرع يلبي الأمر ولم يلبث أن عاد بزجاجة عارية في اناء الثلج ، وفض عنقها الفضي ، فسفت السدادة كأنها مدفع .. فهه الشيخ .. فصوبت اليه نظرات دهشة مذهولة ، أتبعتها بسمات ثم ضحكات خافتة مكبوتة لهذا المنظر الفريد في الدهر ..

ـ في صحتك !...

ورفعت كأسي وأشرت اليه أن يرفع كأسه .. فرفعها بيد مرتجفة ورشف منها بحذر كأنه يرشف سما .. ولم يدر بخلدي قط أي جرعة هي .. سرى في جنباته الجديدة ، وفعل بها الأفاعيل .. ولم أفطن للأمر الا بعد أن جرع الشيخ كأسه الثالثة .. وثمل واستلقى يلوى

بالتواشيح الدينية والمدائح النبوية ، ثم سبح بأسماء الله على مسبحته بصوت السكارى . وهذا كل ما يعرف عنه من غناء دفعته إليه النشوة . فبذلت جهداً في إسكاته ، خشية الفضيحة . وصرفه عن غناء الدين ونحن في هذا المجال . فسمع النصح ، وترك الغناء بهذه الأشياء المقدسة . وتلفت ذات اليمين وذات اليسار فلمح غانية عرفها فصاح وقال :

— أعطني هذه الحورية !

فأومأت إليه ، فأقبلت وجلست وأوصيتها بمداعبة الشيخ ، فداعبته ولاعبته حتى ذهب بنبيه لبه . وخطر له وهو في أوج انشراحه وترنحه أن يسألني عن اسمي ، فراوغته ، فقال

— وهذا أسألك ؟ أونسي أجهلك ؟

أتعرفني ؟

— طبعاً . أنت رضوان الذي أدخلني هذا الفردوس بحورية العين !

وقهقه ضاحكاً ، ومال على الغانية يقبلها . وانتصف الليل ثم دقت الساعة الواحدة ، وأقفرت الحانة ، وأراد صاحبها أن يغلقها وهنا راحت السكرة وجاءت الفكرة .

ماذا أنا صانع بهذا الشيخ صاحب الكرامات ؟... وأين يكون مقره ومقامه ؟ ليس من المعقول أن أصحبه معي أو أذهب به الى منزلي . وليس من المعقول أيضا أن أرده الى زمنه وأعيده الى ضريحه ! ما العمل ؟ أي بيت بلاء؟..

وتأملت الامر مليا . ثم قلت في نفسي : « ولماذا أشغل نفسي به ؟ ما شأني بهذا الشيخ ولي الله ؟ هل عهد الي أحد في أمره ؟ . وهل قذفوا به من السماء لأحمله أنا على ظهري ؟ .. »

وهداني الله الى وسيلة ... أن أهدى الى الحانة ملك لتخرجني من المأزق ، وتبعث معها رشد أنصرف بسلام .. وعليها بعد ذلك أن تؤويه أو تتعبه .

وتم لي ما دبرت ، وأهديت الحانة الكريمة ، وانصرفت الى بيتي ، وانقطعت عن هذه الحانة أسبوعا ، خشية أن أصادف الشيخ فيتعلق بي ويرغمني على مصاحبته ومسامرته وتحمل تبعته وشأنه وهمه وثقله ..

ومضى الاسبوع ثم أحرق بالعطش وآثرت الاتصال بصاحب الحانة بالتليفون .. فما كاد يسمع صوتي حتى صاح بي قائلا :

ـ ما هذه المصيبة التي نزلت علينا ؟!

ـ أي مصيبة ؟

ـ صاحبنا الشيخ .. إنه لا يريد أن يترك المحل لا ليلا ولا نهارا . وكلما ناقشناه صاح بي : لن أذهب أبدا .. المؤمن لا يطرد من الفردوس مرتين !..

ـ وماذا صنعتم به ؟

ـ لا شيء .. صنعنا له صندوقا لمسح الأحذية ، وجعلنا له دكة ، وأسميناه حارسا .. وأعطيناه خدمة المحل، يطعمه بالنهار ، ويلمع أحذية الزبائن بالليل !.

ـ فكرة نيرة جدا ..

قلتها بكل إخلاص ، وكل إعجاب .. ولكن هذا لم يمنعني من تعمد الامتناع عن الحانة زمنا آخر ، حتى يلتصق الشيخ عشش بصنعته الجديدة تمام الالتصاق ، وينسى المهنة المعهودة تمام النسيان ، فلا يحتمي من لقاه عندي ..

■

ومرت أعوام ثلاثة .. دون أن أضع قدمي في تلك الحانة .. لا عمدا بل طاعة لأمر القدر .. أو قل أمر

الحكومة ، فقد دس لي الحاسدون المأمون لدى رئيسي الجديد ، بعشيم ، اللئيم ، واتهموني ظلما بأني قليل العمل كثير الكسل ، مدمن على السكر والعربدة وارتياد الحانات . مما دعى ذات صباح إلا أمر من الوزارة بنقلي إلى أقصى الصعيد .. فمكثت هناك إلى أن أذن الله واساعى الثمرة بعودتي

فما أن استقر بي حال في عملي الجديد بالعاصمة ، حتى شعرت بالحنين إلى حانتي المحببة وشخصت ذات مساء أقصد هذه الحانة ، وكنت قد نسيت الشيخ عليش وما جرى له بالتمام فدخلت وأجلت النظر في المكان ، فلم أجد شيئا على حاله القديم كل شيء قد تغير . حتى الستائر ، والمائدات والصالون و « البارمان » ، وحتى مدير المحل . لم يبق شيء كما كان سوى اسم الحانة ، فهو هو كما هو لم يتغير : « بار الفردوس » .

وقفت لحظة حائرا لا أدري أين أجلس .. حتى لمحت غانية من بنات الهوى ، قد اتخذت ا... . وهي بمفردها تدخن ، والدخان ينعم حول وجهها الأبيض المستدير كأنه السحاب حول قمر فأعجبني المنظر ، ووقفت بجوارها

وطلب به كأسا ولى أخرى ، وأخـــذت أغازلها بكلمات محفوظة مما يناسب المقام .. الى أن قطع الحديث ما ســـمع أحدهم ، يهمس قربى : « تصبح يا بك ! » .. فارتجفت ونفرت اليه ، وتذكرت صفاة الشيخ عليش .. وقلت فى نفسى : ماذا أنا فاعل لو ظهر الشـــيخ مصدوقه ، وماذا أنا قائل لو حدث حداثى بمسحه ؟ أأدعه اليه ، أم أنأى عنه .. ترفقا به واحتراما له ؟!

ورفعت الصاحبة قدحها الى شفتيها ، وهى تنظر الى باب الحانة قائلة لى بقلق :

ـ لن أقف طويلا معك .. انى أخاف أن يحضر فيرانى .. انه شديد الغيرة !

ـ عمن تتكلمين ؟

ـ علوى .. علوى بك !..

ـ علوى بك !.. من هذا ؟..

فظهر على وجهها الاستغراب ، واخذت تحدق فى وجهى وهى تقول :

ـ عجبا ! . الم تسمع بهـــذا الاسم ؟ كل شـــارع عماد

الذين يعرف من هو علوي ! . ظهر انها أول مرة تدخل فيها انا ات والكازينات .

ـ حقا . منذ أكثر من ثلاثة أعوام !..

ـ لقد اقترب موعد مجيئه أصبحت أن سعيد على بمجرد اشاري لك بالابتعاد .. والا فانا لست مسئولة عن مخاوفك او ادعيت اذا أطعت بها حد انوثتي !..

ـ يا خبيث !..

قلتها هامسا مرتعدا وأنا أنظر الى الباب . ثم خطر لى أن ابتعد بكأسى عن المرأة مدة اسبوعه ، دون انتظار لمقعد . والله نسيت عن قربها المحفوف بالمخاطر ولكنى خشيت أن أبدو على هذا الجبن أمام امرأة ، لعلها ما قصدت الا العبث بي والمزاح معي . . وتحدثنا قليلا ، واستأنف الحديث والمغازلة وإذا هي فجأة تلتفت الى الباب ، كأنما الي أحست بعريرتها حركة ثم أدارت لى ظهرها وثبتت على مقعدها .. فأدركت أن صاحبها قد حضر .. ولقد شعرت بالفعل كأن الحانة كلها قد مستها شرارة كهربية .

لقد ساد سكون لدخول ذلك الرجل ، شمل الحاضرين من زبائن وسقاة الى مدير المحل الجالس فوق المنصة . فرفعت عيني نحوه وأنا أفحص ذلك الذي يسمونه

« علوى » . فرأت رجلا أنيق الملبس ، خفيف الشارب، لامع الشعر بصوغ منه عصر الكوب الثمين .. وخاطب الرجل مهجة الأمر ، البارمان ، فحول الى أى أعرف هذا الصوت ، والتفت لأنظر الى وجهه مليا .. فاذا الدهش يعقد لسانى . لم يكن علوى مثل هذا عن الشيخ عيش فى ولى جديد ! ..

ولم أدر ماذا أصنع عندئذ . هل أحادثه ؟ هل أنسحب من المكان دون أن أشعره بوجودى ؟ وتساءل : أترضيه مفاجأة اليوم أم تزعجه ؟ ليس لى أن أبدأ على أى حال بشىء . ولكن الصدوق سرعان ما ندحت .. فقد أراد هو أن يخرج من جيبه الخفى علبة السجاير فصدمتنى يده عن غير انتباه منه . فالتفت نحوى وقد نت عيناه تتحملق فى وجهى لحظة ، كمن يراجع ذاكرته .. ثم ما لبث أن انفرجت شفتاه عن صيحة أدهشت الحاضرين .

ــ رضوان ! .

ثم فتح ذراعيه ، وعانقنى عناقا طويلا . فرحا كالطفل، مبتهجا كمن لقى منه . وهو يردد : « رضوان صديقى رضوان ! » .. وبعد أن أتيح لنا أن نتحدث ، جذبنى من

يدي وقادني الى مائدة في طرف الحانة كأنما يريد أن ينفرد ويستأثر بفرحة العثور علي .. وصفق ينادي «الجرسون» :
ــ زجاجة شمبانيا !..
ــ هكذا سريعا ؟!
ــ دعني أرد اليك بعض دينك ! أين كنت طول هذا الزمن ؟ . لقد بحثت عنك في كل مكان ولكنك اختفيت فجأة . هأنذا أعثر عليك الآن فاتركني أرد السنت الخمسة عشر وأمثالها !..
ــ لست أدري هل عثر عليّ حسنه ؟!..
قلتها كالمخاطب نفسي ، وأنا أجيل بصري المشدوه في كل جزء من أجزاء هذا الكائن الذي كان يسمى فيما مضى « الشيخ عشش » .. كلا ، ان التغيير الذي طرأ عليه لا يمكن أن يسمى تغيرا ولا تطورا ولا انقلابا . انه شيء لم يوجد له بعد اسم . الوجه وجهه والصوت صوته ، ولكن اللهجة التي بها يتحدث ، والطريقة التي بها يشرب ، والاسلوب الذي به يسمر ، والعقل الذي به يفكر ، والنفس التي بها يشعر .. كل هذه أشياء أراها لأول مرة . على أن عيني الفاحصة دلتني على شيء عنده سبق أن رأيته .. طرف الموسى

اثار هذه امرة من خب الصدر ، حيث مد بله الحريري اسهدن .. ولم يدعى أسرف عن دهشتى وتأملى .. فقد رفع كأسه قائلا :

ـ فى صحة رضوان !..

فرفعت قدحى :

ـ فى صحة علوى !

وشرب كأسه كلها فى جرعه واحده ثم التفت الى قائلا :

ـ أرى أن عشت احسسى هو الى معرفه شىء عن صديقك الجديد « علوى » !.

ـ طبعا !..

فأشار الى ماسح الاحذيه الذى يحوس بصندوقه خلال المكان وقال :

ـ لقد بدأ هكذا ..

ثم احد صوته يحمت كما أوغل فى الحدث،كأنما على باعتراف أو يسعى الى محافظه النفس ... ثلاثه اشهر أو اربعه حمل فيها صندوق الاحذيه وتعلم خلالها الشـــك والمقامرة والمغامرة وحدمه الحوانى .. الى أن تجمع فى يده

مبلغ من المال .. فطرح صندوقه وحلبته ، واشترى بدله مطعمه وصار أفنديا .. ولكن صلته بالعفاريت وحاجتهن إلى الحماية جعلتا منه في نظرهن رجلا لا غنى لهن عنه . وقد تبين له بعد قليل أن هذا عمل مربح . فقد كثر عدد المحتاجات إلى يده وحمايته ... وشاع عنه ذلك في هذه الشارع ، وشهد الناس من خوارق براعته في استخدام الوحي ما جعلهم يحسبون حسابه . وامتد نفوذه إلى أكثر الدوائر والجهات ، بل فيها من ساسة ووزراء وسفراء . فهو الآن يرتاد أعظم أماكن اللهو ، ويفعل ما يريد ، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض أو إساءته ... بل هو الذي يتدخل من أصحاب الأبواب وأرباب صناعات اللهو في هذه المجال ... وهو أحيانا يتحد في الشبه ، ويركن إلى الشهيد واحداث الشعب فيدعي من يدعي ، ويلجأ البعض إلى منع جنانهم هربا منه ومنعا كما حدث بملك السابق لنادي « الفردوس » ... هذا هو عدوي ، وهذه حياته .. رواها بلهجة سريعة متصلة ..

ثم التفت إلي قائلا .

— والآن ما رأيك ؟ ..

فالحمتني الحيرة . ماذا أقول ؟.. وكيف أمسه بنقد وهو شارب ، والموسى في جيبه .. ولكني أحته برفق .

ـ لقد كنت هصت الارض بواجه الشر فيما أذكره لنا الردسة .

ـ ماذا تقول ؟

ـ ألا تذكر أنهم أنزلوك الى الارض من جديد لتحارب الشر ؟..

ـ من أعرف اني نسيت ذلك . لقد استغرقتني حياتي وحرفتني ، فلم أعد الى ما جئت له ...

ـ ألم تصادف الشر ؟.. ألم تر الرذيلة ؟..

ـ أين ؟.

قالها كأنه أو انحدر في الظلام فألقيت نظرة الى الرحاحات الثلاث التي أفرغها في جوفه ، فد حبوسا .. ثم تأملت حديثه ، فلم أجد للشراب أثرا في صوابه . هو اذن صادق في احساسه . لقد جرفه التيار الى حد ألهاه حتى عن سؤال نفسه : في أي طريق سير ؟ ... يا له من فريسة ! انه لم يثبت بمنزل ، لقد تلاشى الشيخ عبشر ، وتلاشت عمته ومسحته ملمسه جمعه من من الردسة

لقد وقع في الميدان الزجاجة الرابعة السعيدة دون وعي منه ، قبل أن يحس حتى أي وجود عدو ومعركة !.

وأطرق الرجل طويلاً ، ثم قال بذلك الصوت الخافت المتصاعد من أعماق نفسه :

— في يدي الآن وأستطيع أن أشمه . ولكني . محبوس شمي !.

— أهذا ضميرك يعذبك ؟

— ضميري ؟! أعرف الآن ما هو . أتسمح أن تعيد الإصغاء إلي . لآخر مرة ؟.

— نعم ... أخبرني بكل شيء . إني أحس كأني مسئول

فقاطعني بتصفيقة قوية بين يديه الساقي وهو يصيح

— زجاجة أخرى !.

ولكن مدير المحل أومأ إلى الجرسون ، أن يتجاهله ويتصامم ، وتشبث علوي مرة ثانية وثالثة . فلم يجد مفرا بداته ، فأطلق صيحة مدوية صخب بها المكان ، فحضر إليه مدير المحل يقول :

— علوي بك ! ألا يكفي ثلاث زجاجات من الشمبانيا الفاخرة ؟ هذا كثير !..

— الكثير أمثالك الفنان لا يستطيعان طبعي . سأريك أن واحداً منهم يكفيك ليسمعني !..

وفي غمرة مع النصر ، استل موساه من جيب صدره . ووقف مدير المحل وكنت حسبت الطائش قد فطن لقصد صاحبي ، فدفعت بكل قواي مدير المحل بعيدا عن مرمى النصل ، فجثا واستقرت الموسى في خشبة المنضدة !. وهاجت الحانة وصخبت ولكن ما من أحد تحرك من مكانه ، فقد كانت للفتوة هيبة . فسمر الحاضرون في أماكنهم رهبة أو وهما

وقام هو يمشي على مهل متجهاً إلى المنضدة ، فنزع عنها نصله البراق وسواه ودسه خلف صديريه ، وأراد أن يعود إلى مجلسه من الخوان ، ولكني أمسكت بذراعه ورجوته بلطف أن يخرج معي من الحانة ، لنستنشق حديثا في هواء الطريق الطلق . فأذعن مرغما لرجائي وخرج معي وهو يهمس بغضب مكتوم :

— لا يستطيع أحد أن يخرجني قهرا من هذا .. « الفردوس » !

— قهرا لا . لقد خرجت بإرادتك !..

فتنبه له بلهجته الشرسة واستداراه خشية من بوادره ،

وتهدئة ثائرة ، ثم سنبه وبحن في الشارع مسائراً أن يمضي في حديثه ، وأن يحري بما كان يزعم اخباري به . فنظر في سنه دهشة ممصمصة وقال :

ـ لا أستطيع الآن ... غداً اذا شئت ... وموعدنا في عين هذا المكان

ـ عن هذا الدر ؟! أو هذا ممكن بعد الذي حصل ؟.

ـ ماذا ؟ .. هذا يحصل كل يوم !..



ثم امكن من معاينته في الموعد المحدد .. فقد دعي الى عرس أحد أقربائي في الريف . فسافرت وشئت هناك بضعة أيام . رأيت فيها المحب صريح الشيخ عشق أصبح كعبة يحج اليها مئات الناس من القرى المجاورة ، يحملون اليه الشموع أيام الأسواق ويوفون بالنذور . ويشيدون بكراماته العديدة في ابراء الأمراض وقضاء الحاجات

وقد أبصرت امرأة ترفع طفلها على يديه يلمس شباك الضريح . ويشفى من مرض شديد الوطأة ، وهي تصيح من أعماق قلبها .

ـ يا شيخ عشق ! يا ولي الله يا ساكن الفردوس !.

نظرة .. مدد .. نظرة .. مدد !..

ولقد سمعت رجلا يهرب من الضريح صائحا :

— يا شيخ علش ! يا حليق الرأس .. خذ بيدى ، واشف وجع راسى !

أبصرت ذلك وسمعته كثيرا من أفواه كثيرة .. وقلت فى نفسى : هذا سمعته أن يقول فى هذه الجموع المؤمنة الآملة ان الشيخ علش لا يوجد الا فى بار « الفردوس » شارع عماد الدين ، وأن من يدعونه ولى الله حليق الرأس ليس سوى « مسحى » يحلق الآن الأنوف والآذان موسماه من رؤوس الناس !..

لو قلت لهم هذا لهبوا لرجمونى بالحجارة ، وصاحوا بى : اقتلوا الكافر !.. اهلكوا الكافر !.

على أن العجب فى الأمر أن كثيرا من هؤلاء المرضى الذين يزورون الضريح يشفون حقا .. وقد أكد لى ذلك بعض من يوثق بقولهم من خلانى ورفاقى فى الريف

ولقد فكرت فى ذلك طويلا ، فران على العجب : يا لهؤلاء الناس !.. انهم هم الذين يشفون أنفسهم بأنفسهم وهم لا يعلمون .. ان النفس لا ترتد أبدا أن تصدق القوة الخفية

الكامنة فى أعماقهم . ولابد أن يخرج بهم وهمهم قوة خارجية ينسبون اليها ما يأتون هم من معجزات ! ..

وتحملت حال الشيخ عليش – أو علوى بك – بو أجرته تأمر هذا الكراتب الذى يقبض على الخنوع من بواعث ضربته . بينما هو غارق فى خمور الشراب والحانات .. ولكنى رأيت أن أمسك عن اخباره وأن ألزم الصمت العميق ، رحمة بجنون السادة .. فانه لو علم ، لخسر الى الابد وشيئا هذا المخيم الذى لا يغيب وحتى ما اقترفه من اثم ما زال يؤرق ضميرى ، اذ دفعته الى طريق الغواية أو ليلة .. فلا ينبغى أن أدفعه فى طريق اثم جديد . فلتبق نفسه مع رحمة نسيى ويذهب جسمه الى الجحيم

عدت الى القاهرة . وذهبت فى المساء الى حانة « الفردوس » فلقينى مدير المحل بالترحيب ، وشكر لى موقفى وتدخلى فى تلك الليلة التى هاج فيها علوى وقذفه بالكرسى . وقال لى انه كان ينوى أن يحضر البوليس ، وأن يجازف ويتعرض لانتقام علوى . فهو يعلم أنه لن يتركه فى هدوء اذا هو بلغ عنه . فهو له أعوان . وانه سينتقم بالويل ولو بعد أعوام من سجنه . لو سجن . ولكنه

آثر صعد انفس ، والدحي عن الحادث .. لانه يعرف علوى منذ زمن ، ويعلم انه سريع العصب سريع الصفاء .. والخبر في اشتف بعسلات اوية مع مثله ... غير انه يلاحظ عليه في الاسابيع الاخيرة تغيرا غريبا . وليس هو وحده الذي رأى ذلك منه . عبث اخانه على الخصوص ومن أدق احسسنا ما شغل نفسه في هذه الايام . ولقد سألته : أحادث علوى بعد بنت امسه ؟ فأخبرني وهو دهش أن علوى لم يحضر الى الحانه منذ خروجه معي بنت الليله

وعنا حاولت بعد ذلك العثور على علوى بحثت عنه في جميع الدوات والكباريهات .

وأخيرا قال لي أحد خدم « البار » انه سح ذات مره شخصا شبهه جالسا أمام مقهى وصفه لي في حي السيده زينب

فذهبت الى ذلك المقهى فاذا بي أجد علوى قاعدا بمفرده ، يتأمل شيئا لا أسه بدون منه ، ولكنه لم يفطن الى حتى وضعت يدى على كتفه . فقام في شبه رعدة ونظر الى وقال :

- أنت ؟ ماذا أتى بك الى هنا ؟..

- وأنت .. ما الذى أتى بك الى هنا ؟..

- اجلس ..

قالها وهو يهيء لى كرسيا بجواره ، ونادى الجرسون، وطلب لى فنجانا من القهوة . وأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه وقال بصوت كالهمس :

- يجب أن أخبرك ..

- بكل ما يقوم فى نفسك !

- نعم .. لن أخفى عليك شيئا مما فى نفسى .. انى أحب .. وعندما أعترف أنا بهذه الكلمة ، فاعلم أن أمرا عجيبا قد وقع . فأنا من أكثر الناس صلة ومعرفة بالنساء ، ومن أكثر الرجال متعة واستهلاكا بمحاسن والطيبات والاحتمالات. ولكن الذى حدث أن قلب كيانى وأنبت فى نفسى مشاعر أحسها لأول مرة .. هى فتاة لو رأيتها لعجبت كيف أن مثلها يمكن أن يوحى بالحب .. على الأخص الى رجل مثلى .. نحيلة ضئيلة يضرب لونها الى الصفرة ، لا تهتم بالطلاء ، ولا تعرف الاغراء ولا تلبس غير البسيط الضرورى من الثياب .. هى معلمة فى مدرسة ابتدائية لا تزال فى هذا

لحى تسألني . كيف عرفتها ؟ أقول لك : صادفته . كانت في دار من دور السينما مع بعض تلميذاتها ، يشاهدن رواية ملونة بالرسوم المتحركة . فلما انتهت الحفلة وخرجت بأصحابها تعرض لها شاب تافه بعبارة سمجة ، فلم تعرف كيف تحمي نفسها منه ، فتدخلت وأبعدته ، وأوصلتها الى مدرستها مصونة موقرة مع تلميذاتها . فشكرت لي ذلك بصوت لن أنساه ! صوت أثر في نفسي كما تؤثر أحيانا قطرات الندى في قمة الصخر . صوت لم أسمع من قبل مرحه ورقته ووداعته حتى ولا بين ملائكة السماء !

منذ تلك اللحظة شعرت اني محتاج الى هذا الصوت ، كما تحتاج الصخرة الى ماء المطر . فكنت أجيء في كل يوم أترقب موعد خروجها ودخولها المدرسة لأقرئها وأقرئها السلام ، زاعما لها أني من سكان الحي ، وأنصرف عنها وقد ملأ صوتها قلبي . فأعيش على هذا الغذاء ساعات حتى أحس الحاجة الى صوتها من جديد . هذا كل عملي الآن .. انها كل شغلي الشاغل . بل هي النور الذي أضاء جوانب نفسي وجعلني أتحسس معالمها المعتمة وأعرف ما فيها من خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ، وكنوز ودفائن ، اه ليس الفردوس هناك في السماء ، وليس هنا في

شارع عماد الدين !. انه هنا في القلب !. وربما كان فيه الجسم أيضا !.. لقد عشت أياما على أمل أن أروح منها لأنني بغير هذا المصباح لا أرى شيئا، ولا أميز شيئا .. ولا أفرق حتى بين الحسنة والسيئة، ولكن دون هذا الأمل هوة أوسع من فوهة جهنم ! لقد تمكنت من امرأة حدثتني عنها نفسها أنها مخطوبة لابن عم لها مدرس هو الآخر في مدرسة ثانوية. ولقد تبينت من حديثها وتفكيرها أصداء من الحياة المغلقة والعواطف التافهة والأهداف التافهة . كل همها في الدنيا إخراج ساذج من التجربة الزائفة . وهي تتحدث عن خطيبها كمفتون به في مهمتها الأساسية .. لقد كنت أحس الغثيان والخدر، وأنا بجوارها أستمع إليها، كأنني ذبابة قذرة دائخة من شراب معطر أو دهن مقدس !. ماذا يمنعني أن أمسك بها ؟ أمامي طريقان إما الهجوم والعمل على الظفر بها بأي ثمن، وقد أنجح . فهي لا ترتاب في أمري، وتجهل كل شيء عني، وقد لمحت من حديثها بعض الاستلطاف لي، والثقة بي، وليس من العسير أن أمضي ذلك فيها إلى حد العنف والشر وربما الحب . وإما أن أبعدها عني، وأتركها لطريقها المستقيم، وخطيبها المهذب، وحياتها النظيفة وهدفها السليم .. إذا

دخلت حياتها فقد حطمتها وهدمتها … فما أنا بها الا نقمة !
وما ذنب هذه الطاهرة الماضي البائسة المستقبل ، أن تكتشف ذات صباح وهي بين أترابها وزميلاتها وتلميذاتها ورئيساتها انها ما تزوجت غير « سمحي » ! .. صناعته التكسب من ذوات الغانيات والكذب بهن ! واذا تركتها .. ولم تدخل في حياتي فقد حطمتني وهدمتني . ماذا أصنع ؟.. اني في حيرة واني لأرسى كل يوم في هذا المقهى ، بعد مقابلتها لأفيح في عقلي ميدان صراع : هل أقدم ؟ هل أحجم ؟..

واستغرق غارقا في صمت مريب . ولم أشأ أنا قطع هذا الصمت . فسكت ، وحسبت أداعب بأصابعي أذن فنجان القهوة .. الى أن رفع رأسه مرددا :

ـ هل أقدم ؟ هل أحجم ؟

فكيفت بأن قلت له :

ـ تلك هي المعركة الكبرى بين الخير والشر . وعليك الآن أن تخوضها !..



مرت الأيام بعد ذلك دون أن أرى علوى ، فقد اختفى من كل مكان .. واذا بي أتلقى خطابا من أقصى الصعيد ،

بالعصا ، والشيخ عفوه ، يجري فيه الله الفتح كثيرا من الكذب في تلك القصة الثالثة التي كان يرد ذكرها على لساني في أحاديثي مع « علوي » في ليالي السمر بالدار .

وانه قد انقطع عن زيارة الشيخ من أيام الفلاحين ، ومصيرهم تفرق بين الخير والشر والعصبة والرذيلة . وان الموسى عاد الى حلق شعر رأسه زهدا والعمامة والمسبحة مظهرا لخدمة التقوى الصغرى ، والورع الحقيقي مع العمل الصالح والكدح الجدي ؛ وان الشيخ الذي أصبح فيه يحب أن يظل مرتفعا عن الدنس . وقد تركه صبره الشعر مجاهدا نفسه أن يعدو حدوده ؛ وأن يهيج سريرته . وانه يكفيه منه شعاع سر به على امتداد كالنجم البعيد .

وكانت تلك نهاية المعركة .



وختم صاحبي ادرج قصته قائلا

– والآن هاأنذا قد سمعت قصة ذلك الرجل الذي كان يسمى « الشيخ عتش » ، و « علوي بك » ، و « الشيخ علوه » فما حكمك عليه ؟ .

فعلت .. وأنا أرشف قهوتي بعد العشاء الشهي أمد قدمه الى :

— فلنترك الحكم عليه للملائكة السعداء ، فانه سيصعد إليهم هذه المرة بقلب راض ، سيفحصونه فورا دقيقا وحسابا طويلا ، قبل أن يصدروا حكمهم بقبوله النهائي أو طرده الدائم من الفردوس !.



لا كرامة لنبى فى وطنه

كانوا في القرية يطلقون عليه اسم « بحر » .. ولست أدري أكان لهذا الاسم صلة بمظهره ؟ فقد كان أسود اللون ، قبيح الصورة ، محروم الأذن ... يرتدي معطفا عسكريا ، يحاكي الأزياء من بعد الحرب العالمية الأولى ، قد رث عليه وبلى وضعف أزراره إلا واحدا ربطه بخيط من تيل ، وهو يحمل في يده هراوة كانت فرعا من شجرة السنط التي تظلل « الكتاب » العلى ... يرفعها ويجري بها وراء الساخرين به والضاحكين منه .. وما أكثرهم إذ ما من أحد كان يأخذه على محمل الجد ... وما كان هو يحفل بآراء الناس فيه .. كان يكفيه ذلك رأيه هو في نفسه . كان له أخوة يصغرونه سنا تزوجوا وأنجبوا ذرية تسعى معهم إلى الحقل وتعود منها بعد الغروب ممسكة برءوس البهائم المحملة بعضها من الحشائش وأعواد الذرة . أما هو فكانت فكرة الزواج تمر بالنسبة إليه كضحك الغريبة وهدرها وعشها ... من هي تلك التي ترضى أن تتزوج من « بحر » ؟

وكان هذا هو السؤال الذي اعتدت أن ألقيه عليه ، منذ أعوام طويلة ، كلما ذهبت الى الريف .

- هل تزوجت يا زنجر !!

- أبدا

كان يقولها في شيء من المرارة والثورة . فكنت ألاحقه

- وما السبب ؟

- مافيش فلوس !

هذا كان تعليله الوحيد ... ورأيت أخيرا أن أبطل هذه الحجة ، فعرضت عليه أن أقوم عنه بكل نفقات عرسه من مهر وفرح وشبكة ... لو ظفر هو بالعروس . فسر لذلك وحمد وشكر ، ولكن الأيام مرت ولا سمعة بهذا ولا أثر . ولم أعلم ما حدث ... ولكني صرت بعد ذلك كلما مشيت بين الحقول والى جانبي « زنجر » أتأمل من أجله كل فلاحة تميس بقدها تحت ثقل الجرة ، كما يميس العود تحت ثقل السنبلة .. فأسألها :

- يا ست .. أتتزوجين الولد « زنجر » ؟

فما أسمع الا دقة على صدرها وصيحة

- يا خيبتي !..

وتشد فى اسـر محققه هدية حتى تختفى .. وبدا رحو بحوارى يشيعها وهو مجروح ساخط مغتاظ :

ـ داهية لا رجعت . وأنا كنت أرجو ؟ .

ثم تأخذ فى التاعى تاركل هؤلاء القنيت دون ما يستحق، ودون ما تريد ، وآخذ بعد ذلك فى حمد الله اذ صرت على انصارهن ، فهذا الرقص مهن نعمه ! .. ولكنى لا أقسم، واحل اطرح السؤال على طوائف مختلفه من بنات الغربه .. واحط فى سلم الجمال درجات ، وأطاطىء الرأس نابه عنه واقى صحبات ، حتى وصلت الى درك لا ترول بعده .. لكن منوعات العسرية ، من الحسناء و الحدباء ، عرضت امرة عنهن . فما سمعت قط غير تلك الصيحه المنكره من الأفواه وذلك الدق المسكر على الصدور .. وتلك العبارة الواحدة من كل الشفاه

ـ صافت عليك بلد .. ما فى غير « رحو » ؟!..



وصدقت وآمنت احيرا بصعوبه واحه .. فهذا رحو شأ فى الغربه مضحوكه ، وشبت فتاه الغربه لا يعرف

منه ولا نعرف عنه إلا أنه رمز السخرية ، ومناط العبث ومثار الهزء .. لقد كان في محزن ، فقدمه إلى أسرة من القرية سيئة أدب منه في عصرها ، وعد منه على كرامتها ، وخدش لسمعتها . إذ استغل شأنه فتحصب دون أهل البلد بهذه المهنة وتلك الصدر . هكذا كانت الأسرة تدفعه عنها كما تدفع الفضيحة . وبلغ الحال من السوء أن أصبح « زمجر » شخصية تهدد بها البنت المدللة إذا أردت لها تأديبا .. ولم تشذ عن استخدام هذه « الأداة » التأديبية أحد حتى أنا . لقد انتهى بي الأمر أن آمنت بما تؤمن به الجماعة في القرية وصرت إذا أردت أن أشتم بنتا مهملة من بنات أخوتي في البيت أو احمال الكمى أقول :

— والله لست لأزوجك من « زمجر » !

فتطفر دموع الخوف والضراعة من عينيها في الحال . وأدركت أني قد زعقت عليها بهذه الجملة سوطا يقوم عوجها ويصلح فسادها ..

كان هذا و« زمجر » في ملكوت من نفسه ، وعالم من ذاته ، وحصن من « حصانة معنوية » عجيبة . . مرتفع فوق

لخيع الاستهراء العام ، لا تبعث برأسه أنواء ، ولا يصل الى عيبه رذاذ ولا ماء . ظننا سنوات نشق في أمره : أهو جمود ؟ أهي بلادة شعور ؟ أم هي صلابة شخصية وقوة ايمان ؟!.

أردت ان أتندر به ذات يوم ، فقلت له :

ـ ومن التي ترضى أن يجدها زوجة لك من بين بنات القرية ؟

فقال بلا تردد :

ـ البنت « سلطانة »

يا للعجب !.. « سلطانة » هذه هي أجمل بنات القرية طرا . هي الزهرة اليانعة الجديدة الشعر . التي يتقدم اليها أجمل شبان القرية وأقواهم . هي التي يتنافس فيها المتنافسون ، ويتزاحم المتزاحمون ، من بين من ورث مؤهلاته وورث صفاته .. فما تمالكت أن صحت به :

ـ طيب اسكت .. اسكت .

مرت الأيام ... وعدت مرة أخرى الى الريف بعد غيبة طويلة . فراعني ما وجدت ، وأدهشني ما أرى

زنجر قد تزوج ..

تزوج بعد ؟..

هذه أجمل من سلطانة !..

وعلم زمجر بحضوري ، فحياني وكأنه يقول : « هذه المرة تستطيع أن تنسى السؤال المعهود » ولكني كنت عرفت الجواب من قبل .. فكنت أقرأ على وجهه سطور السعادة .. بل لقد قرأت ذلك على وجوه أهل القرية أجمعين . لم تعد « زمجر » في عرفهم تلك « الأسطورة » .. إن الاسم لم يزل حقا لاصقا به ولكن قد غسل عنه كل معنى من معاني الهزء والسخرية .

كيف حدثت المعجزة ؟ لم يخبرني هو ولكن الذي قص علي شيخ وقور من شيوخ القرية ، قال :

ـ حدث منذ ثلاثة أشهر أن حضرت إلى القرية « مرحلة » لمقاومة « الدودة » من زراعة القطن وكان يعمل فيها بنات كثيرات من قرى بعيدة . فيهن جميلات وفيهن رشيقات وكان زمجر هو « الخولي » عليهن . فإذا هو يلمح من بينهن فتاة هي أسطعهن جمالا وأوفرهن سحرا وأكثرهن فتنة بل هي حسن لم تر له مثلا في قريتنا قدمها في العمل وتودد إليها . وعطف عليها . وكان لا يأمرها إلا بمعروف

ولا يسمعها الا برفق ولا يحادثها الا بلطف. وتفتحت نفسه
لها بصفاء جميلة كما تتفتح زهرة القطن وكأن الفتاة
نسيه الشمس ، فأبصرته « بعين » قلبها ولم تبصره بعين أذنها
. رأت فيه « الإنسان » ولم تر فيه « الإنسان المتحرك »
فهي من قرية بعيدة لا تعلم عنه شيئا . فلم تهتم به وبيها
بعد قدوم من تلك الشخصية الشبيهة بنساء الضحكات ، في
بلدة ، على مدى الأعوام . بعد مدة تعد بعصف ، وعندما
قال لها مازحا ذات يوم : «تتزوجيني ؟» لم يرعه الا قولها :
« نعم » .. فقال لها :

- صحيح ؟

فقالت :

- صحيح

- تحلفي على المصحف ؟

- أحلف

وأقسمت انها جادة .. وأنها لا تطمع في زوج خير منه
فطار زهير فرحا الى أهله يزف اليهم الخبر .. ولم يصدق
أهله هذا الكلام الا بعد أن سمعوا قول الفتاة بآذانهم ..
وزغردت « ام عازيد » في الغرفة ... ودفع زهير المهر لأم

العروس ، فأبوها قد توفى وتزوجت أمها غيره . وجهازها مخلوق و « عواش » فضة وخلخال ومرتبة ولحاف ومسندين ومخدتين وحلة وطشت وصحين قهوة وبراد شاي وصينة وأربع ملاعق وأربعة أطباق .. الخ الخ . ثم أحدث الغمة ليوم العرس فحضروا الحفل وشهدوا بحر مع حوته برسومه سقف المحل ولبوس واخرته والشال الأحمر ... وأسموا حسب الهودج الذي سيحضرون فيه عروس الشاية من بعد .. كل ذلك بين عدد من بحر وعددهم كثير هذا المعلوم ... وبين عمران المدينة والحضر واسم من بنات العربية اللاتي سحرت من زنجر ، فأخبره الله بعض لا بعض إلى كفها ملاحة وطهارة وعاده

أحسن إلى كل هذا . وعلم سر « المعجزة » .. فقد جاءه الخير والنعم ورد الاعتبار من قرية أخرى بعيدة . هكذا أحبه الله . بالطريقة التي أحب بها من رضي عنهم من الرسل والأنبياء

الدنيا رواية

الدنيا رواية حقا في نظر أولئك الذين يؤمنون بنظرية حلول الروح . تلك النظرية التي تزعم أن عدد الأرواح في الكون محدود، كما أن عدد الممثلين في المسرح محدود، وأن الذي يتغير هو الأدوار التي يتقمصها أولئك الممثلون وهي أدوار لا حد لها ولا نهاية ، في تلك الرواية الأسطورية العظمى !..

إذا سايرنا أصحاب هذا الزعم في زعمهم ، فإن الصورة التي يمكن رسمها لهذا تبدو جديرة بالتأمل . ومن السهل تخيل الأرواح في ظهورها واختفائها فوق مسرح الدنيا ، على الوجه الذي يحدث بالضبط في المسارح المشيدة . فهناك ، مثلا ، بعيدا عن هذه الأرض وشمسها وقمرها ، مكان خفي ، يمكن أن نتصور فيه ملاكا يقوم بوظيفة «الريجيسير» – أي مدير المسرح – بمعنى الإشارة للشمس والقمر ، فتلقى الأولى أشعتها الذهبية القوية ، والآخر أشعته الشاحبة الفضية على سطح الأرض ، كما تسلط مصابيح «البروجكتور» الكهربائية على خشبة دار التمثيل .

ولا بأس من أن تحل «بث «الثالث» في مكانه هذا مباشر أعماله اليومية ، وينظر في «اللوح» الذي أمامه ، اسطوره هذه الادوار والأقدار ، ويستعرض ألوف الارواح المهيأة للظهور على مسرح الدنيا ، وسجل الالوف من الارواح الخارجة منه ... ولا ضير بعد في أن ينسى الخـــال أحد من بث ، ليسمع له قصة روح من بين تلك الارواح العائدة



ظهر «الروح» الذي يروي قصته ، خارجا من الدنيا وهو مدهوش مذعور ، كمن أفاق فجأة من نوم عميق ، وهو يردد هذه العبارة :

ـ يقولون إني مت ! .. أنا الآن ميت حقيقة ؟ روحي التي تحطم محطة ... ذي أموت ، وإني مت أحرووي أيها السادة .. هل أنا حقا ميت ؟!

ولم يلتفت إليه «الثالث» المنهمك في أعماله ، الشخص ... في اللوح الذي أمامه ، واسجل الذي بين يديه ، واكتفى بأن هز رأسه وقال كالمخاطب نفسه :

ـ كلكم هكذا .. لا تريدون أن تصدقوا أنكم متم هذا أصح لكم ؟ أنا ... الذي وضعت أسمه في الدفاتر

والدمية الأدبية والرأهين لحضراتكم . تقدم يا . . . ماذا كان دورك في الدنيا هذه المرة ؟..

ـ كنت صبيا . وكانت لي زوجة . . آه . . ان زوجتي هي التي تموت الآن ولا شك حزنا على أنا . . . المسكينة .

ونسي ذلك الطبيب ـ أو زوجه ـ كل ما حوله ، وراح يذكر كل دقيقة من دقائق حياته التي يؤكدون له أنها انتهت . . . كان طبيبا جراحا ناجحا ، يخرج في كنف العطف معروفا ، وكل شيء مبتسم له ، لقد كان من أولئك المحظوظين الذين ينالون دائما ما يريدون ، كان حسن المنظر لطيف المعشر ، يطفر بعطرات كل مريضة ومرضه لكنه كان يعتقد أن هناك امرأة واحدة لابد أن يستحوذ على كل قلبه وفكره وحسه ، ولابد لها أن تأتي يوما ، انه أرادها ولابد له أن ينالها فالقدر قد عوده أن ينيله كل ما يتمنى ، فالنجاح في مهنته يساعده عليه ، وقد تمنى المال والترف ، فجاءه المال من عمله ومن ميراث عائلي . وهو بعد ذلك تمنى أن يلقى الزوجة التي يعطيها حياته وكده وكل . . . فوجدها ذات يوم في صورة مريضة ، أتت ليجري لها عملية استئصال الزائدة الدودية ، ما ان وقع بصره عليها حتى اضطرب . أترى الأرواح تتلاقى حقا ؟ كيف تلاقت روحاهما من نظرة

الاولى !؟ وكان من المستحيل عنده أن يتصور أنه هو الذي يجرى لها الجراحة بيده ، ويشق جسدها بمديته . ان قلبه لن يحتمل ذلك واعتذر لها ولأمها بشتى الحجج ، وعهد بأمرها الى جراح آخر قال انه أمهر منه . ولم تدرك هي معنى ذلك الاعتذار الا يوم فاتحها قائلا : « لقد حققت لاكون زوجك لا جراحك » . . . وكانت هذه الزوجة كل شيء في حياته . وكان هو كل شيء في حياتها . ما من كائنين أحبا والتصقا وأصبحا كأنما واحدا مثل هذين الزوجين كانت زوجته تقول له يوم ترى جرحا في اصبعه . . « صدقني ! كأن الألم في اصبعي أنا . أهو وهم . أهو حقيقة ؟ كيف ينتقل الوجع الذي من اصبعك الى اصبعي هكذا أيها العزيز؟» وكان هو يقول لها . « اصدقي حقا هو أن كلامك هذا هو عين ما عندي . لقد شعرت فعلا يوم حقني لأشق جسدك، كأن المشرط سيشق جسدي أنا ، وأنا بالضبط لمقاطعتي جراحك لن أعطي مثلك ابدع ، فتصوري جراحة تجرى لي بغير بنج ، بينما أنت المريضة لا تحسين الألم ! » وعاش هذان الزوجان السعيدان أعواما كلها هناء . ولم ينجبا أولادا . ولم يحزن لذلك دون تعلق أحدهما بالآخر . . بل لقد كرها الأطفال حتى لا ينفسح فيه أسف أن تجيم

على جبهتها . هكذا شعر أحدهما يكمل الآخر . ولا حاجة بهما . وجاء اليوم المشئوم . فقد نهض على عادته في الصباح الباكر لإجراء عملية جراحية ، ولكن روحه أحست في ذلك اليوم خطرا . وتنبأت بكارثة ، كما تنبأ له الرصد بكسوف الشمس . فوسلت إليه أن يبقى معها ذلك النهار . ولكن اصطدم في واجبه ان مرضاه في انتظاره . فدعت الرب فلامسها ، وداعبها حتى كشف عن نحرها ، وقبلها قبلة طويلة ، وانعتقت من بين ذراعيها المشتاقين بعد . وركب حامداً كالنسر . وفي المستشفى علا وفي حسمه اسم قد شرط عبر أثناء الجراحة، وسرى الداء في دمه من اسم مجروحه ، واجتمع حوله زملائه أساتذة الطب وأخصائي السم ليبعدوه من الموت . ومن حولهم روحه تموت وتحيا مع كل نفس من أنفاس قريبها الحبيب ... ولكن . كان الموعد محدداً لانتهاء دوره في الحياة عند هذا الموقف . وكان على الروح في ذلك الوقت أن تجمع الجسد كما يجمع المثل ثياب النيل . وعندما كان يسلم النفس الأخير ، بين شهقات امرأته المكلومة ، وربوع دمعها الساكب ، ووقفت الزوجة المتجددة ، وأسامها الموجة الدامية حول انه أنه يرى الحقيقة تتحرر في

الظلام خلف غيبة الحياة . نعم ، الحقيقة هي أن الحياة ليست حقيقة كان إحساسه إحساس ذلك الممثل الذي عاش دوره ، ونسي أمره ، وأبكى الحاضرين وبكى هو نفسه ، إلى أن فرغ من الموقف الأخير ، وشعر بدنو الستار ، فانتفض ، فإذا عينه تسبح في الظلام ، الكواليس ، بين فينة وبين فينة ، فكفكف تأثره ، ورفع يده ليمسح دمعه ، قبل أن يندفع إلى داخل المسرح ليسخر مع زملائه ويسخر هو من نفسه . وبكى غير أن المشاهدين كانت بوادره أمامهم وأي انطلق بهم وبدوره . فتوقف في ذاته حقيقة . كذلك العبث المحتضر . خطر له أن يبتسم لروحه الباكية ، وأن يهمس لها أن الأمر زيف في زيف ، ولكن ... كيف يكون كل هذا الحب زيفا ؟

. مهما يكن من شيء الحياة ، وما بعد التمثيل فإن الدموع في ذاتها جديرة بالاحترام ، والحب في ذاته أجل من أن يهزأ به ، إن الحب حقيقة ، وإن ما ربطه بزوجته لا يمكن أن يجتمع مع رداء التمثيل ، ولو اجتمعت عليه كل ملائكة السماء . وهكذا ترك ابنته خلفه في الأرض ، وخلع رداء جسده ، وحلق على فلك الملائكة ... روحا عاريا مجردا .. ولم يحس بعد فرقا كبيرا بين ما كان منذ لحظة وما يكون الآن . أين هو ذلك الموت الذي يقولون عنه ؟

ما الذي تعبر عنه ؟ ها هو ذا يحب زوجته حباً جنونياً وكل أمله أن يلقاها .. ولكنه لا يستطيع . لأنه ميت ، كما يقولون . إذ يراها ، ويرى جزعها ، ويريد أن يمد يده إليها ، وأن يحادثها ليهون عنها . ولكن صوته لا يبلغها ، ويده لا تسمع إرادته . ما من أعضاء مادية تأتمر الساعة بأمره . كأنها أشياء منفصلة عنه . لا يملك تحريكها ، حاله الآن كحاله عندما كان يشتد به في الدنيا كابوس ثقيل وهو في فراشه أن يتحرك ، ولكن إرادته لا تطيع . إنه الآن إرادة معلقة في الهواء لا تسيطر على الجسم ، ووعي مطلق في الفضاء لا يؤثر في الأشخاص ، عدا ذلك فهو هو لم يتغير فمن يدريه أن هذا موت ؟ لعله نوم عميق أو حلم عابر أو كابوس مؤقت !.

والتفت مرة أخرى إلى « الملاك » المنهمك في أعماله وقال له :

ـ أنا لا أحس أني ميت

فنظر إليه « الملاك » نظرة شزراء وقال .

ـ أنت حر .

ـ أريد أن أعود إلى زوجتي

ـ قل هذا لعزرائيل من فضلك

- عزرائيل ! أتمزح ؟؟

فلم تضحك « الملاك » وقف بعد العصر .

- ليس عندي وقت للمزاح .. سيدي .. آه ، لو درى عزرائيل ! ذلك الذي لا يصل به شكوى من كثرة أعماله ، مجرد قبضة عدة أرواح كل يوم ، يقبض بعدها يده ويستريح . أما أنا فيجب علي أن أمشي من أرواحه وأتحسس حسناتها ، وأسعى الى زرزبيها ! ما حصره بالتفصيل .. ألم يضحك عزرائيل ؟ كيف تريد اذن مني أن أعيدك الى روحك ؟ واذا كان كل روح يقبضها زميلي أعيدها أنا ، فما الفائدة اذن من قبض الأرواح ؟!

- أنا شخصيا لا أرى فائدة . قد كنت مع روحي في أتم هناء . فلماذا تدخلون أنتم لتفرقوا بين الحبيبين ؟؟

- لا نستطيع يا سيدي المفضل أن نتركك في هذا الدور ، أعني في هذا الجسد كما تحب أنت وتشاء ، لأن روحك تلزمنا في عمل آخر

- عمل آخر ؟

- طبعا . لابد لك من جسد آخر تحل فيه ، ودور آخر تقوم به . وهل تظن أن هذا كان أول أدوارك أو آخرها ؟

لقد سبق لك أن حللت في مئات الأجساد، وقمت بمئات الأدوار

ـ أنا ؟! أنا سبق لي أن كنت شيئاً آخر غير زوج يحب زوجته، وطبيب جراح في ...

فتبسم «أملاك» ابتسامة ساخر مسرور، الراثي لجهل محدثه. وأخذ يقلب في صفحات سجله الضخم، إلى أن وقف على صفحة، نظر فيها لحظة ثم قال:

ـ اسمع يا سيدي ... قبل أن تكون زوجا وطبيبا، كنت لصا سكيرا، قتلت راقصة في ملهى لتسرق حليها ... ومت على المشنقة!

ـ أنا ؟!

ـ اسمع ... ثم كنت قبل ذلك جنديا، سقط قتيلا في معركة ... ثم كنت طفلا مات بالدفتريا، ثم كنت امرأة ماتت في الوضع ... ثم كنت رجلا دينيا مات بالشيخوخة، ثم امرأة ماتت مسمومة ... ثم كنت ساحرا هنديا لدغته أفعى، ثم كنت فتاة انتحرت في حادثة غرامية.

ـ كفى كفى. إني لست مجنونا لأصدق هذا الهراء. أنا طبيب جراح ... ولي زوجة أحبها، وإذا لم ألحق بها فهي

لانها لاحقة بى . ولن أصدق أبدا أنى كنت أمثل دورا

فنظر إليه « الملاك » بشفقة أبوية وقال :

- كل مرة تقولون لى عين هذا الكلام ، أنت وغيرك . ولكنكم لا تصدقون أن هذا كان تمثيلا

- تمثيلا ؟ . حبها لى وحبى لها . . وحياتنا معا التى لا نتصور حياة غيرها ! لا . . لا . .

- إنك لم تزل واقعا تحت تأثير دورك . إلى أن تذهب إلى البحر ، فتغسل ذلك تماما ، وتزيل ذلك الماكياج ، عندئذ فقط تكون على استعداد لأداء الدور الجديد

وأشار « الملاك » إلى أحد مساعديه المحيطين إشارة ذات معنى ، فتقدم يقود روح الطفل ، ولكنه وقف ونظر إلى عتبة الباب وقال لرئيسه .

- عزرائيل أرسل لنا روح امرأة

ولم يكد يتم كلامه حتى ظهرت بالباب روح الزوجة ، وما كاد روح الزوج الطفل يرى روح زوجته حتى صاح فرحا :

- ألم أقل إنها لابد لاحقة بى !

واندفع كل منهما نحو الآخر . وقالت روح الزوجة

ـ آه يا روحي الحزين .. لم أستطع اللقاء هناك بعدك، فقد كانت ليلة قطعة ... تلك التي رأيت نفسي فيها وحيدة بدونك، أناديك في الظلام ولم أتمالك نفسي عند الفجر، وأنا محطمة الأعصاب فتناولت كل ما كان بحوزتي من أقراص الأسبيرين طلبا للنوم الأبدي، والراحة السرمدية، أو اللحاق بك، وها هو ذا أملي يتحقق وأراك كيف أنت الحزين. إنك مختبر بها أرى، كيف قالوا إن إنك مت؟ أنا أيضا لست متيقنة من ذلك، كنت أنسى الموت. وقد شعرت عندما استدعوا الطبيب والإسعاف بعد نوبة الإغماء، أنهم يهمسون حولي بكلمة «الموت»، ولكن أين هو الموت؟! أين هو ذلك «الموت»؟!

ولم يستطع «الملاك» صبرا فصاح صائحا:

ـ أف! لعنة الله على هذه المهنة!..



طفق الزوجان برتران كلاهمان، وقد أعماهما الفرح عن كل ما عداهما، ولم يحفلا بمن حولهما، وأدرك «الملاك» أنهما لن يفرغا من الحديث، إذا تركا وشأنهما، فأومأ إلى

ساعده أن يعودهما الى حيث يسألان عنهما آثار ذويهما
الى « بحر النسيان » ..

واتجه الساعد نحوهما يدعو بهما « فحملا منه واسعدا عنه ، وانتبه الى « الملاك » سائحين :

ـ أراد افترق بنا ها هنا أيضا ؟

ـ لابد من ذلك

ـ نتوسل اليك ... نتوسل اليك أن تدعنا معا دائما في كل مكان ، وفي كل زمن ، وفي كل دنيا . ماذا يكلفك هذا أيها الملاك اللطيف ؟

ـ هذا قد يحدث لنا بعض الارتباك في العمل

فانه مكتوب على كل نفس ... ، فمضى الروحان في الالحاح

ـ نتوسل اليك . ملتك لن يهدم وسنبقى . احفظنا دائما ولا تفرق بيننا أبدا

ـ سأرى ... سأرى . . ربما دبرت لكما ذلك . لكن اذهبا الآن قبل كل شيء واغتسلا في البحر

ـ شكرا لك ..

لفظها الروحان بحرارة وفرح   وذهبا في الحال مع الساعد صاعدين الى بحر النسيان

وهناك وجدا بحرا هائلا ، له شاطئ جميل مثل شواطئ المصايف الشهيرة ، وبحر يعج بالأرواح السابحة فيه فحف بهما المطر ، واندفعا الى البحر ضاحكين سعيدين كما كانا فى الدنيا

وقفزا معا الى المياه ناعمة الملمس ، وغمرهما موج أبيض كأنه رغوة الصابون

هذا هو يحس كل شئ يزول عنهما رويدا رويدا . . . واذا كل منهما يردد من أعماق نفسه متعجبا متسائلا : من أنا ؟ ومن هذا الذى بجوارى ؟ ، وخرج من هذا البحر من خرج اليه لأوامر الساعدين ، ووقفا حتى أتى اليهما الساعد الموكل بهما ، فخرجا كما تخرج اللوحة المكتوبة من الماء لا أثر فى نفسيهما لحرف واحد من حروف حياتهما الماضية . وأخذهما الساعد الى « الملاك » وقد جاءت نوبتهما فى الوقوف أمامه لتوزيع الأدوار الجديدة . . فسأل كلا منهما :

— هل تعرف من أنت ؟ وأين كنت ؟ ومن تعرف من هذا الذى بجوارك ؟

فأشار كل منهما بنفى فقال « الملاك » كالمخاطب نفسه وهو يراجع سجله الضخم :

— إني وعدت مع ذلك أن أجمعكم مرة أخرى

دون أن يصحبني حديث ، فلنكن إذن إذن صبرا وياحب وأنت فتاة عاطفية . أيها المشاهد . أقدم بهما إلى مسرح الأرض .



كل شيء كان قد أعد لصبري . هو . صبرا ، فقد خرج إلى الدنيا طفلا في أسرة متوسطة مركز أبيه ثابت، وشب في حديقته بألعاب الرياضة ، وعدا شيء وتعلم في المدارس، واصطحبت به قوة ومواهب ، بعضها بدافع شخصي، ولكن الظروف نهته ودفعته على الرغم من كل شيء إلى الطيران، فدرسه ، والتحق بإحدى شركات الملاحة الجوية . أما . هي . فقد نشأت جدليه الشرعية مدللة مترفة في أسرة ميسورة الحال، متفككة الأخلاق لأب مشغوف بنفسه وملاهيه، ولأم ساذجة ضعيفة الإرادة . ونشأت أشياء بالرقص والحياة الصاخبة الحديثة . وكان . هو . في طرف من المجتمع و . هي . في طرف ، ولم يكن من السهل أن يلتقيا . فهو لا يرتاد المجتمعات التي ترتادها هي ، ومع ذلك فقد كان لابد من التلاقي ... وقد حدث ...

كان يعود طائره ذات يوم وكان الباب الصغير الذي يفصل بين مكان قيادته وبين مكان الركاب مفتوحا على غير العادة ، فلمح في أحد المقاعد فتاة تقرأ احدى المجلات ما كاد يراها حتى ارتجف ، وارتجفت معه الطائرة من فوقها، فقد فقد حكمه عن قدميه وارتعج الركاب قليلا ، ورفعت الفتاة أهدابها المتسائلة فتلاقت عيناهما . وعجب مهندس اللاسلكي لما حدث ونظر الى الطيار بجواره ، فانتبه ليصيح بين ضوضاء المحركات قائلا : « انى اعرفها ابن رأيتها ؟ متى رأيتها ؟ » وما كاد يهبط بالطائرة في مطار الوصول ، حتى قفز منها وتبع الفتاة ، وعنده يحدثها كأنه يعرفها من قبل

أما هي فلم تنهره ولم تنفر منه ، بل أحست الارتياح والرضا ، وشيئا من الاطمئنان الخفى الى هذا الشاب وهو يقول بخلاص حار :

— انى آسف اذ اضطر ان أقول لك تلك العبارة التى اتخذها الشبان اليوم « ألم رأيتك من قبل ؟ » نعم انى لا أتخذها حجة لمحادثتك . ولكنى . عندما وقع بصرى عليك شعرت في الحب انى أعرفك وانى رأيتك في مكان ما ، اتذكرى . ربما تلاقت آخر مرة في .. في حجر ؟.

فأجاب باسمه :

ـ من الطائر .. في « ملاح » من هذه «الملاحات»

ـ ربما . أخشى أن تكون الطائرة قد أزعجتك عندما ارتجت

ـ لا . إني فقط عند هبوط الطائرة ، أحس عادة ببعض الصداع ولكن عندي دواء لذلك ..

ـ قرص واحد من الاسبرين يكفي

فظهر شبح الارتياع على وجه الفتاة وهمست

ـ اسبرين ! أرجوك لا تنطق هذه الكلمة ، لا أمقت شيئا مثلما أمقت الاسبرين ربما ابتسمت لذلك ، ولكني منذ صغري ارتاع لمجرد رؤيته . سامحني هل لك أن تدعه جانبا ولا تسمح بها تطفلا

ـ لا تؤاخذيني . إني آسف . لم أقصد ايذاءك مطلقا

ـ أعلم ذلك . هذا ليس ذنبك إنما هي نزوة من نزوات ليس لها مبرر . ألا يحقق ذلك أحيانا لكثير من الناس ؟ ألا يحدث لك أنت أيضا أن تكره شيئا دون سبب ؟

ـ نعم نعم . أنا أيضا في الصغر كنت أحس الاغماء كلما ذكرت أمامي كلمة « عملية جراحية » . وعندما حاول

أملى تعليل ذلك . ولكن هذه الحالة زالت بزوال عهد الصبا .. وأصبحت بعدئذ شخصاً عادياً ..

ـ أرأيت ؟ إن أشياء كثيرة متقاربة

ـ هذا من حسن حظي



منذ تلك المحادثة الأولى ، وهما يشعران كأن شيئاً يجذب أحدهما الى الآخر ولم يمض قليل حتى تم بينهما الزواج، ولكن بمرور الأيام وكل منهما يلاحظ أنه يسير في طريق غير طريق الآخر . هو يأتي من عمله متعباً ليجدها تمرح مع صحب بأسماء «روميو» و «اموكس بوت» و «الهوجي بوجي» فيسألها برفق :

ـ أما تكفيني طول النهار ضوضاء المحركات ؟

فتجيبه بمرح :

ـ محركات ؟! هذا كل ما تعرفه أنت لست «رومنسك»

وكان يتبع هذا الخلاف بينهما في الاتجاهات وكان يعلل النفس بأن هذا شيء قد تمحوه الأمومة . وأنجب منها طفلين جميلين، ولكن الأمومة لم تغير عندها المزاج بل

الزواج هو احدى ثمار الأمومة . وأمسى الزوج يعطف
بعد ليلى زوجته مشغولة كلها بالحفلات والسهرات وتعدى
الأمر الى ما هو أمر . فقد دخل عليها يوما فوجد لديها
شابا لا يعرفه . زعمت أنه من زوق اصدقائه ، وأنه أخوها
في الرضاع وقدمته الى الزوج وزوجته تنحدر بخشمه الزوج
بالحسنى مراعاة للاولاد . ولكنه أدرك عندئذ أن ثمة شائبة
في الحياة هي هذه المرأة . وكرت سنين حمراء بالنسبة الى
الزوجة السعيدة ، بيضاء من التسهيد ، سوداء من الهم ،
بالنسبة الى الزوج المنكود وقد بعد يحسن عشرة أمه يومه
واختلال صحته . وسمع همسا في الشركة المدمرة ينذر
بالشر ، كما سمع همسا عن سلوك امرأته يندى له الجبين
الحر . واكتب نفسه الهموم ، وتحرت في قلبه الشكوك
وفي ذات ليلة دهم زوجته وهي في أحضان شاب فارتعت
وقالت متلعثمة انه معلم رقص يعلمها رقصة جديدة . وفقد
الزوج صوابه فأخرج مسدسه وأطلق على زوجته رصاصة
أرديها قتيلا . وفر معلم الرقص المزعوم فرة . فوكس
ثروته من أعلى السلم وهرب كما يهرب الثعلب من حظيرة
الدجاجة . وسمع الخدم الطلق الناري ، فصاحوا وأقبل
البوليس ، يضع في صفدين وثاق الزوج الى رشيده ،

وعلى أثر الصفعة بقرع في رأسه وصفعة أخرى ردته قتيلا هو الآخر

وتنبه «الملائكة» وهبوا من فوق سحابة تتقدم على شجار روحين داخلين عليه .. أحدهما يقول للآخر :

ـ سحقتني ! أليس أنت سحقتني تتعدى على صديقك لست تائه كهذا ؟! .. أصدق بعدك أنه الروح أمعن !
ولكن هل سمعت من قبل بشرف عن هذا ؟! أنت طول عمرك كنت زوجا مغفلا !.

ـ لكني أنها امرأة لا داعي للاعتداء!. ولكن الذنب ليس ذنبك .. الذنب ذنبي أنا .. لا شك أني خنت حتى أضلت وقتلت نفسي معك في نفس الوقت ما الفائدة؟ ماذا فعلت أنا إذن ؟ ها أنت ذا معي هنا أيضا . يا للمصيبة !.. يا للنحس !

ولم تجد «الملائكة» بدا من التدخل ، فصاح فيهما طالبا اليهما السكوت واحترام المكان . فتقدم اليه الزوج ـ أو على الأصح روحه ـ صارخا متوسلا .

ـ يا ملائكة السماء ! يا شياطين جهنم !.. يا عفاريت الجن .. خلصوني من هذه امرأة !.

نصيب

في حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه من عطاء
الطلق الذي لا يجد طلقه . والويل لمن لا يفطن الى هـذا
الشعور الا متأخرا ، انه يترك عندئذ كل شيء ويظل مجنون
تلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر . كان
بطل هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شاب مجد
طموح تخرج في الجامعات مهندسا بارعا . درس في مصر
ثم في الخارج وكان في مقدمة أقرانه دائما . لا يعرف غير
العمل ولا يفكر الا في طريق مستقبله الناجح وتركيز
في هذا الطريق بالعمل حتى بلغ درجة مدير أعمـال ،
وكان يشرف على الحسابات والملايين وهو مستغرق هـذا
الاستغراق في عمله الهندسي واذا به تدهمه هذه اللحظة
الحاسمة . واذا هـذا الرجل الذي كان يجري على قدميه
فوق الأرض كأنه كل شيء ، قد اصطدم فجأة بهذه اللحظة
العجيبـة ، توقف ودار حول نفسه دورات ثم استيقظ على
ظهره وراح يعدد ربما مكتوما وكأنه يهمس : ما أنا الا
عطاء الطلق ! وأدرك المهندس عندئذ وليس في رأسه غير
فكرة واحدة . الزواج

ودهش أصدقاؤه لرنين هذه الكلمة في فمه ، فهم لم يسمعوها قط منه ، ما الذي حدث ؟ وهم الذين طالما نصحوه من قبل في هذا الأمر ، فلم يحدثوه عن الحب والصدق وعدم اهماله لتذكر كلما ذكرت أمامه « الزوجة » ـ أو النصف الآخر ، أو « شريكة الحياة » ـ فقد عبثه كان الموضوع لا يعنيه ولا يفهم معناه ، وينظم أحيانا أبياته الساخرة فيه أسس في الوصف ونشراتهم في العصر عهد كان يحس احساسا أكيدا أنه كامل بنفسه وأنه واحد صحيح لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد انه درس الحساب والجبر والرياضيات العليا فهذا يعلمه أنه أقل من رقم ، وأنه نصف فقط ، وأن هناك نصفا آخر في مكان ما يكمله ليكون الاثنان واحدا صحيحا ؟ هذه أسئلة حسابية لا أدبية من الذي وضعها ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ لا لا انه لا يطيق النظرة المشوهة الى هذا الحد في الأخرى بعلم الحساب . لتجعل من الرجل والمرأة أرقاما أو كسورا من أرقام تجمع بينها وتطرح. كان هذا كلامه قبل مضى أما الآن فهو شيء لا يصدقه . صدقتم الحياة حساب الحياة مسألة حسابية أنا كسر أنا نصف اجمعوني من فضلكم على النصف الآخر ! » لكن بقيت المعضلة

بكرى كيف أعثر على بنت مختفية ؟ هل سرقت أم
مخطوفة أو غائبة هي باختيارها ؟ هل القمر هو الذى يجذبه
على نوع الوجود — بالشاعر — جعلها الانصراف بعضها إلى
بعض ؟ أو أن على الرجل المسئول أن يبحث عن نفسه من
تحت الاسم الغائب وتصيبه وسرعة راحة على نوع بحث
عن نفسه ؟ ولست أفهم . أنا لا ألقى على معرفته ، حتى
من هذا السؤال الذى لا يحير . كيف عرفت بحب ؟ . .
وكانت الإجابات مختلفة ، فمنهم من يقول . . أنها في
شهره عند بعض الأقارب أو الأصدقاء . . ومنهم من يحسب
. . بأنها في سوق حربية بالعجمي ، فسألت عنها . . ومنهم
من يذكر . . كانت على البلاج ، فتشتها وعرفت عنوانها . .
ومنهم — وهم كثيرة في هذا الزمان ممن يؤمنون بالغيب أو
بالغيبيات ، ولا يرضون بطرائق الأخبار الحديثة — فسر
به . . والله البركة في الخاصة أو شيء . . وحار المهندس
في هذه الأساليب جديدها وقديمها ، ولكنه لم يكن و
يرفض وهو معرض عنه فيها كلها كان يؤدي
إلى سطره الآخر من سره في سلوكه عند البحث عنه
والبحث ودعه بهذه يجوس خلال الشوارع والطرقات
والشواطىء والأسواق . لكن وا أسفاه ، أين هذه

قصيرة وأمه بنت مطوعة . والأولى أمها لا يروقه والثانية فمها لا يعجبه . ثم إذا هو يعمى عن المظهر فمن يدريه بالمخبر ؟ لقد جند كل أصدقائه وزوجاتهم للبحث معه حيث أنه لم يكن له أقارب في القاهرة . فأهله في الريف وليسوا ممن يحسنون فهم ما يريد . ولم تكن صلته بهم تبيح لهم التدخل في شئونه ، فقد كانوا أقرب من درجة بعيدة . لأن والدته ماتت بعد تخرجه في الجامعة بقليل . فبحث كل أصدقائه على معرفة . وأغلبهم كان يرتاب في أنه يأخذ الأمر أسوة على سبيل الجد فكانت معونتهم له ضئيلة فاترة في أكثر الأحيان ، ثم إنهم نفروا وانفضوا من حوله لما رأوه من تردد في الاختيار وعدم بت في الأمر ، وبعد كل فتاة عرضت عليه يتحجج بمخالفة على أنه لم يكن في الحقيقة متعنتا ولا متعللا ، إنما هو ذهنه كان قد صور له امرأة بملامحها وصفاتها ، وأوهمه أن تلك هي بغيته التي لا يرضى بها بديلا فهو لا يريد أن يرضى إلا طبق النموذج الموضوع في رأسه . وضاقت نفسه عشاوة حريته سدى . فقعد ذات مساء يائسا وتطلع إلى السماء قائلا : « يا أيها القدر ! الكلمة لك أنت الآن . سأغمض عيني وأمد يدي ، فضع فيها من تشاء ! » . ونام حتى الصباح حتى

أرسل في طلب الخاطبة أم شلبي، نعم ... ولم لا؟ ما دام قد مر على مذبحة وصورته، ووضع بالعقد المكتوب في اللوح، وأقسم قدمه المهندس يخط بيده ما يريد ... فهذا يصح غير ذلك؟ أليست أم شلبي من عملاء المهندس أو من أدواته؟.. من يدري؟ فلعلها هي المنتصرة في أزمته إذ لا يمكن للمهندس أن تكون له وسيلة أخرى غرض بها في مثل هذا الأمر إرادته السماوية وأقضيته. الخاطبة. هذا هي امرأة ضخمة بدينة سمينة حسيبة كأنها تل وهل ينتظر أن يملأ بدانة العدد أو يأتي بأنثى حجم أقل من هذا الحجم؟ وعرض المهندس الحدث طلبه، ووصف بها على قدر الإمكان بعده ... فمضت المرأة واختفت أياما ثم عادت ومعها سجل حافل بأسماء الأسر، وصندوق كبير يضم عددا من صور الفوتوغرافية ضمت على كل طراز فوقع في حيرة جديدة. كيف يختار وأيها يختار؟ وحدثته الخاطبة عمن حدثت عن فتاة تصلح له ... ولكن ـ يا خسارة! ـ تقدم إليها خاطب طبيب ليس من السهل رفضه. تصلح لي؟ وأين صورتها؟ ... وخال إلى المهندس في تلك اللحظة أن هذه الفتاة هي امرأته ونصفه وحلمه، وأن عليه أن يختطفها من منافسه اختطافا ... وأين صورتها؟ لقد قالت الخاطبة إن

أهلها رفضوا كل الرفض أن يعطوها أية صورة لها .
ولكنها جميلة على أي حال . فتشبث المهندس بأذيال الخاطبة
وصاح : « لابد من الصورة » . ففكرت قليلا ثم نظرت إليه
نظرة دهاء ، فمثلها لا يعجز عن الحيلة . لقد لمحت في بهو
الدار صورة ابنته معلقة على الحائط ... فهي ستذهب إليهم
لتخبرهم بأمره ... ثم تغافلهم وتخطف الصورة لتعطيه وأتت
بها إليه فبهتت من فرط دهشته وتركت المهندس فريسة
ذلك الإحساس . إنها هي ... إنها هي ... لقد وجدها أخيرا
ما سر هذا الشعور ؟ أتراه الغموض الذي يشملها ؟ إنه لم
يرها ويتزوجها منذ الآن . فعرج .. كيف هي ؟ وهل
يعود بها ؟ إنه واثق أن صورتها هي صورة المرأة التي يبحث
عنها ... وظل يفكر في ذلك طول ساعته ... وعندما الليل
وأراد أن يأوي إلى فراشه ... ولكن النوم استعصى عليه
فقام وأضاء المصباح الكهربائي الصغير فوق رأسه ، وتناول
كتابا يهدئ من أعصابه الثائرة . وإذا نظره يقع على صفحة
تحوي قصة قديمة لرجل من بلاد السند كان يبحث هو
أيضا عن زوجة أحلامه ، فكان بحثا عبثا على غير طائل ،
فقال له قائل : « لا بأس ابحث عن الزوجة ولو في الصين »
فلم يعبأ الرجل ... وركب في أحد السفن إلى بلاد الصين

فكسر المركب به وبمن معه في وسط البحر فنجا مع بعض القوم عـــلى خشبة من خشب المركب ، ووقعوا في مكان لا يدري أي مكان هو ، فأقاموا فيه أياماً لا يجدون قوتاً حتى أشرفوا على الموت ، فقال بعضهم لبعض : « تعالوا نعاهد الله على أنفسنا أن ندع له شيئاً عسى أن يرحمنا ويخلصنا من هذه الشدة » ، فقال بعضهم : « أصـــوم في كل عام شهرين » ، وقال البعض : « أصـــلي في كل ســـاعة ركعتين » ، وهكذا ... إلى أن قال كل منهم شيئاً والرجل صاحب الروحة ساكت فقالوا له : « قل شيئاً » ، فحار ولم يجر على لسانه إلا قوله : « لا آكل لحم فيل أبداً » ، فضحكوا به . « أتهزل في مثل هذا الحال ؟ » ، فأجابهم : « والله ما قصدت الهزل ، ولكني منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسي شيئاً أدعه لله فلا يخطر على بالي غير الذي نطقت به » . ومرت اللحظات بهم ، فقال أحدهم : « لم لا نفترق في هذه الأرض متفرقين نبحث عن القوت ، فمن وجد شيئاً أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة ؟ » . فتفرقوا في الطرق ، وإذا أحدهم يرجع بعد قليل ومعه فيل صغير ، فنادى بعضهم بعضاً فاجتمعوا وأخذوا الفيل الصغير واحتالوا فيه حتى شووه ، وقعدوا يأكلون ، وقالوا للرجل صاحب الروحة : « تقدم وكل معنا » ،

فقال : ألستم أنتم بعد ساعة تركتموه ؟ إني لن أرجع في شيء تركته لله أبداً . ولو كان في ذلك موتي جوعاً ، وأكل أصحابه بدونه ، وأقبل الغلمان فعرجوا إلى مواضعهم التي كانوا فيها يبيتون . وأوى هو إلى أصل شجرة كان يبيت عندها ، فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو يصرخ والخلاء كله يدوي بصراخه ، وهو يطلب القوم . فقال بعضهم : قد حضر الأجل ، فتشهدوا وتشهدوا وأخذوا في الاستغفار والتسبيح ، وطرحوا أنفسهم على وجوههم ، فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً ، فيشمه من أول جسده إلى آخره ، فإذا لم يبق فيه موضع لم يشمه ، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه فسحقه ثم تركه كالعجين ، وقصد آخر ففعل به مثل ما فعل بالأول . . إلى أن لم يبق من القوم غير الشيخ على الروحة ، وهو جالس ينتصب يشاهد ما يجري ويستغفر ويسبح ويقول : قاتل الله ذلك الذي فجعني بهذه الفجيعة الشنعاء ، وأخرجني من بلادي في طلب . ولم يتم كلامه حتى أتاه الفيل ، فسهله وقصده ليدور فأرغمني أن أرحل على ظهره متمثلاً الموت ، وجعل الفيل يشمه كما شم أصحابه من قبل ، ثم أعاد شمه مرتين أو أكثر ، ولم يكن فعل ذلك بأحد من الآخرين ، ثم

الرجل في خلال دقائق تكاد تخرج فرعا ثم لف خرطومه عليه فشاله في الهواء ، فصاح الرجل وزيد فمه بعده أخرى ، تجهر بالاستغاثة . ولكن الفيل رفعه بخرطومه وأجلسه فوق ظهره ، وانطلق به يهرول مرة ، ويتهادى أخرى .. الى ان طلع الفجر واشتد ضوؤه ، واذا الفيـــل قد أنزله من ظهره ، وتركه على الارض أمام باب قصر فخم .. ورجع الى الطريق التي جاء منها . ولبث الرجل في موضعـــه لا يعقل ولا يعي من الفزع والخوف ولم يثب الى رشده الا وهو داخل القصر . فانتبه الى نفســه واذا هو في فراش وثير وثياب جديدة والى جواره فتاة كالبدر هي ابنة صاحب الدار .. طفقت تمسي به وهو ينظر اليها ويهمس قائلا : « أمن الموت الى الجنة .. وأي حياة ! انها هي .. هي ! » ثم كانت هي صلته التي تحشم من أجلها السفر والبحر والخطر ... فقد تزوجها بعـــد ذلك وكانت نعم الزوجة والخدين والشريك

ونسي المهندس من مطالعة هذه القصة العجيبة ، وهو يقول لنفسه : ثم ثبلي .. هذا الفيل الآدمي .. من يدري . لعله هي الاخرى تحملني غدا الى تلك الأسرة التي أحد في دنيها ضالتي ! . وطلع الصبح وانتصف النهار

وجاءت الخاطبة تحمل في ملاءتها ، صورة في اطار ، أمسك بها المهندس متلهفا وعرض عينيه ملياً ثم طفق يقول كالمخاطب لنفسه . « نعم لا بأس حقيقة انى اردت امرأتي هكذا ! » وسحبت أم سلمى الصورة من يده برفق ، وقالت له انها ستقع في الحرج اذا فقدوا الصورة في بيتها وأن عليها الآن أن تعود بها فورا لتضعها في مكانها . وأن ما يجب عليه عمله منذ الساعة وقد راقته الفتاة أن يمضى قدما الى أهلها فيعرض نفسه ، قبل أن يرتبطوا بالخاطب الآخر ، واذا شاء فهى تدبر له موعد المقابلة مع أبيها في أقرب وقت . فقال لها : « نعم ، أسرعي .. الخير فيما اختاره الله .. »

لم يمض يوم حتى عادت أم سلمى تلهث وتدعوه الى زيارة والد العروس عصر ذلك اليوم ، وتوصيه أن يكون حريصا على الذهاب في الموعد المحدد بغير ابطاء ولا تأخير ، فان أهل الفتاة رفضوا بادئ الأمر الكلام في شأن أي خطيب جديد فهم قد رضوا عن الخطيب الأول ، ولم يروا مبررا لترك هذا الباب مفتوحا بعد ذلك ، ولكن الخاطبة بذلت أعظم الجهد في اقناعهم بمقابلة هذا المهندس الكفء ، فمن يعلم أين النصيب ؟ وما ضرهم أن يأذنوا له في زيارة قصيرة ، لقد

احتمت وصمدت ما استطاعت لتفسح له ذلك الطريق الضيق،
فلم يبق إلا أن يتبع هو ما يتصعد منها والد است ، وهو
شيخ وقور متعب من حمل الخشب ، دخل في عمامة ،
صائم في أحكامه، فقد المهندس لحظته . « لا تخافي . في
سعة جسمه ... أكون هنا ! » وقد بر بوعده ، فما
ألقى رأسه وانصرف حتى كان قد نهض ويجهر بردى
حمر شفيه ، ووقف أمام امرأة تصعد منه الحوري في جيب
الصمت . . نظر إليه وقد بدى ينصدف ، فرأى أن يمضي
بعينه ولا يرى من عرفه ، إعـتدالا في اداء الأمانة ،
واقتصادا في ابداء الخيلاء ، وتخلى عن مظهره ، ونزل إلى
الطريق قاصدا بيت العروس ، وسار في الشارع وكل شيء
فيه مبهج فرح ، وقد غمر الإطمئنان قلبه فبدد حيرته ، بعد
أن هدأ به القدر شركه ، فلم يبق إلا أن يقابله شاكرا،
أو للانسان ! ما أشد عجزه ! هنالك مسائل لا مرجع إلى
حلها إلا إذا سقط عليه المفتاح من السماء ! وهنالك مواقف
يواجه فيها الانسان مفترق طرق ، فلا يسعفه إلا دفعة في
ظهره من يد القدر نحو احداها . كانت مثل هذه الخواطر
تجول في ذهن المهندس وهو يواجه مفترق طرق في ميدان
سليمان باشا ، وإذا هو فجأة يحس دفعة في ظهره شديدة

قدميه قد طرحته على الأرض ، وإذا شيء كالعجلات يمر فوق جسمه ... وكان هذا آخر ما وعيه لكل ما حدث

لم يدر على التحقيق كم من زمن مضى عليه وهو في إغمائه ، لكنه عندما نبه وجد نفسه على فراش وثير في سرير مستشفى ، وجسمه كله ملفوف بالأربطة الضخمة وقد سمع من يهمس حوله قائلا ... لا يتحرك ، فحول بصره جهة الصوت ، فرأى طبيبا وممرضا وممرضة في ثيابهم البيضاء ، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية جراحية ، وأنه قد كسر له ضلع ، وأنه في هذا المستشفى منذ أيام ، وأن حالته كانت خطرة بادئ الأمر ، ولكن الخطر زال عنه الآن ... وأنه سائر في طريق الشفاء ... وأراد المريض أن يتكلم وأن يستفسر فمنعه الطبيب من بذل أي حركة أو جهد ... ولم يسمح له إلا بعد أيام بالرد على أسئلة رجال التحقيق الذين جاءوا لسماع أقواله في الحادث ، وقد أجابهم بأنه لم ير شيئا ... لا السيارة التي صدمته ولا لونها ولا سائقها فحفظوا المحضر بجهلهم وانصرفوا عنه ، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس في أعماق نفسه

— ضلع مكسور ! هذا كل ما وصلت إليه . أما الآن فسأكسر عنقي ... دون أن أظفر مع ذلك بالتي تكملني !

ثم ذكر آخر يوم كان فيه صحيحاً . وكان سائراً الى
بيت العروس ... ترى هذا ثم في هذا الأمر ؟ أترى انه ما
رجعت من نفسه ؟ أم أن الخطب الذي قد سببه لها ،
بينما هو طريح ، كالخواد الذي سقط في ميدان السبق ؟
كيف السبيل الى معرفة الحقيقة ؟ لو استطاع على الاقل أن
يبعث في طلب ... أم شيء ، ليعلم منها ... ولكن ما الحيلة
في هذا العصب الذي يمنعه من الكلام والحركة ؟ فلينتظر
يوما آخر أو يومين ... بلا شك لسوء حظه أن كل ما فقده
بسبب هذا الحادث ! أيمكن للحظ الذي صدمه بعد ذلك
انه لن يغفر له أبداً ... لا كسر ضلعه ، بل تلك الصدمة
الاخرى ، ضاع بسببها الآخر بعد أن عثر عليه .

وجاءت به العناية الى ... ، فوجد ما أدهشه
باقات من الورد والازهار الماثلة في الآنية ، وقارورات
وجرات من ماء «الكلونيا» وكلها مجلوبة في نفس الوقت ،
وصناديق ثمينة مملوءة بالحلوى ومغلوة بالحرير .. وكل
ما يمكن أن يهدى الى مريض معروف ... فمن
هذا الذي يهتم بأمره كل هذا الاهتمام ، ويعنى بشخصه
كل هذه العناية ؟! وسأل ممرضه ... من عسى أحضر
كل هذه الهدايا ... على أن ... سريره

وبهجة من نوع شيق مردود للجميع .

ـ الست

والتفت الطبيب الى مرءوسيه يصدر اليهم الأوامر الاخيرة قبل انصرافه . وغادر الجميع الحجرة من فورهم ، وتركوا المريض مستغرقاً في الدهشة : « الست » ! ومن هي هذه « الست » ؟! وغادرت الممرضة وفي يدها أثوابه وحاجياته وحقيبة ملابسه ثم وجرت المريض بأمرتها .. فانتظر حتى فرغت من عملها ، فسألها أن تحدثه قليلا عن تلك « الست »

وكانت الممرضة ثرثارة   فحدثت معها بأنها أحمد واكرم سيدة رأتها   .

وطفقت تخبر المهندس المريض بما فيه من الفضل م برده الا عجبا واستغرابا ، فهذه « الست » الحسناء تأتي كل يوم لتسأل عن صحته   وهي في كل مرة تأتي بالأزهار الجميلة ، وتضع النقود في أيدي ممرضة سخاء وترجوهم ان يحصوه بكل عنايتهم ، وأنها كانت في ساعات الخطر الاولى تسأل عن تطورات حالته في جوف الليل بالتلفون عدة مرات   وأنها حضرت « العملية الجراحية » منتظرة في حجرة مجاورة كي تطمئن على عواقبها   وأنها أصرت على استدعاء « كوستونو » من الأطباء قبل اجرائها لتزداد

استشاط [illegible] وأنه دفعه بعنف كي [illegible] من جسمه بدون

[illegible] لا عجب أن يجوده في هذه [illegible] في هذه

الحجرة من الدرجة الأولى [illegible] لكن ما مر به من علاج

وعذاب ورفاهية ورقة هي التي تنوي عقابه وأن [illegible]

من بين أصابعها [illegible] في هذا [illegible] من أجله [illegible] ولا

[illegible] له ولا يفكر إلا في شيء واحد [illegible] ذي نفس

[illegible] هي كلمتها [illegible] وكلما [illegible]

فكل من تعاطى من أمره ومشربه [illegible] أمرته

حديثها قائلة ببساطة :

— [illegible] زوجك [illegible] أنها [illegible] وصحتي

لكل شيء [illegible] الله [illegible] عن

قرب !

وخرجت من الحجرة مسرعة ، وتركته [illegible] كالمجنون

— زوجتي ؟!

وظل [illegible] في هذا الأمر ، إلى أن اهتدى إلى رأي

شبه معقول .

هل هذه [illegible] التي يحسبونها [illegible] زوجته ليست في

حقيقة الأمر سوى تلك الفتاة العروس [illegible] التي كان [illegible]

خطبتها . ولعلها علمت بالحادث ، وأثر في نفسها ما وقع له

وهو في طريقه إليها يحسب ذلك الثائر المتمرد لهذا الإخلاص كله على أنه غباء . إذا كان ذلك حقا فهي إذن الشريكة المنشودة . نعم ما أكرم نفسها وما أسعده بمثلها ! من ما تتحمل في سبيل علاجه ؟ أم هل اعترفت نفسه زوجة منذ الآن ، بمجرد أنه كان ذهبا يشتري بذهبها ؟ . إذا كان هذا ما وقع في نفسها ، فإنه ليعرها عليه . فهو أعف من أن يشتري زوجة من الأسواق بمثل هذه الطريقة التي سقط فيها تحت تأثير من أهله [illegible] من زوجة عزيزة [illegible] في رأسه الساعة شتوني مختلط . ولكنه مع ذلك يذكر بعض ملامحها التي شاهدها في الصورة ذات الإطار [illegible] لابد له على أي حال أن يراها ويشكرها على الأقل وينتظر حتى جاءت الممرضة فقال لها

- أريد أن أرى [illegible] زوجتي

فأجابته الممرضة بأنها لم تحضر بعد ، ووعدته بأن تدخلها عليه بمجرد حضورها . ولبث المريض بعد هذا ينتظرها دقائق ثم ساعات ، ثم جاءه الليل ، ثم مر يوم وثلاثة وأربعة . دون أن يسمع من الممرضة سوى ألفاظ [illegible] بالانتظار . فهي أيضا تجهل لماذا هذه السيدة الآن [illegible] بعد أن كانت تجيء المستشفى في اليوم مرتين .

ووقع المهندس لا في الهم والغم وحدهما بل في الحيرة أيضا والحرج . فماذا يقال لمسرحية ولا حرج هذا التصرف العجيب من الزوجة المزعومة ؟ فآثر الصمت أمامهم والاقلاع عن ذكرها . ولكنه ظل الابن يحاول عبثا أن يكشف لنفسه حقيقة هذا السر . الى أن بدرت ذات يوم من الطبيب بادرة أنارت قليلا هذا الأمر . فقد قال له وهو يفحص ضلعه المكسور :

- حالتك الآن على ما يرام . تستطيع الآن أن تصحح على وسادة خلف ظهرك ، وأن تكلم كما تشاء . وأن تقرأ هذه الكتب والصحف والمجلات التي ترسلها لك الست

فصاح المريض كالغريق الذي وجد خشبة :

- الست ؟ . أين الست ؟ .

فقال الطبيب باسما :

- انها الآن مطمئنة عليك الاطمئنان بعد أن أكدت لها منذ أسبوع زوال كل خطر .

- ولكني .. أعني . هل حضرت ؟

- لا . لقد قالت لي في آخر مرة انها لم تعد ترى ضرورة للحضور ، ما دام الخطر قد زال . وانها تكتفي الآن بالسؤال عن الحالة بالتليفون مرة كل يومين أو ثلاثة .

ـ هل أستطيع ان أكلف أحدا بطلبها بتليفون ؟

ـ بالتأكيد اعط رقم التليفون للممرضة وهي تقوم بذلك في الحال اذا شئت

ـ رقم تليفون « الست » معروف بالطبع ..

ـ لا أظن . انها هي التي تتصل دائما ومع ذلك الا تعرف أنت الرقم ؟ ..

ـ آه .. طبعا .. طبعا .

وضحك ضحكة يخفي بها ورطته وانصرف الطبيب ، وتركه يتخبط في ظلام أكثف مما كان فيه من هذه السيدة التي تعطف عليه كل هذا العطف وهو في الخطر ، هذا الاهتمام به وتتحسس حالته ، انصرف عنه في غير اكتراث كأنها لا تعرفه ؟! ثم كيف يتصل به الآن والمستشفى دونها موصدة ؟ ونادى الممرضة وطلب منها أن تبحث في ادارة المستشفى وفي كل مكان عن عنوان « الست » أو رقم تليفونها موهما اياها أن زوجته هذه تعمد اخفاء مكانها عنه وتكلف هذا التصرف معه ، لأسباب خاصة ، لكن الممرضة لم تعثر لهذه السيدة على عنوان معروف ولا على رقم تليفون وكل ما يعلمونه عنها في المستشفى أنها هي التي تحضر وهي التي تستفسر دون أن تترك خلفها أثر

ولم يجد المريض آخر الأمر غير وسيلة واحدة . ما كاد يهتدي اليها حتى صاح فرحا كمن وجد الفرج والتفت الى الممرضة قائلا :

ـ اسمعي ! أرجوك اذا سألت عني « الست » بالتلفون في أثناء انعدامه . فأخبريها أنه قد حدث لي نكسة، واني لن أعيش أكثر من ساعتين .

فترددت الممرضة فدفعها بورقة مالية دسها في كفها فقبلت المخاطرة بهذه الأكذوبة وقت محدود . ومضى يومان

واذا الممرضة تدخل على المهندس مهرولة لاهثة وهي تقول :

ـ تكلمت

ـ صحيح ؟ تكلمت ؟

قالها وقد كاد يقفز من جوفه فأكدت له الممرضة أن « الست » تكلمت الساعة بالتلفون تستفسر ، فأجابتها بالرد المتفق عليه ، فدهشت وأخذت بالسماعة ، وهي قادمة بعد دقائق فلم يدر المريض ما يصنع من الفرح وقد بدت على عجل وعي منه يلمس زجاجة عطر الكلونيا لتطيب . وهو يوصي الممرضة أن تدخلها عليه للفور ، وأن لا تنسى أنه يحتضر . وخرجت الممرضة تستقبل القادمة .

ولم يمض قليل حتى سمع المريض صوت امرأتين تقترب . فأغلق عينيه نصف اغلاق ، واستلقى بلا حراك ومثل دور من يموت ... ودخلت زوجته مذعورة وسيدة باسمة تنظر اليه شاخصة الوجه ... فكاد يمثل الموت بموت حقا ... من هذه المرأة ؟ انها ليست صاحبة الصورة التي في الاطار ... هو الذي وطن النفس وأعد الذهن لرؤية امرأة يعرفها ... أو يعرف رسمها على الاقل ؟ ها هو ذا أمام امرأة جديدة لم يرها قط في حياته ، ولا يدري عنها شيئا ... وانهار كل ما كان قد بناه في خياله ... فليست هذه المرأة بالعروس التي كان داعبا لحسنها ... وليست هذه الشبيه وهذا الاحتشام ولدى تلك الاسارير التي كان قد رسمها وخططها واستحبها . هذه امرأة غريبة عليه وعلى ذهنه وفكره ... لم يرها من قبل ذلك في الماضي ، ولم يصادفها في حقيقة أو خيال ... فمن تكون ؟ ومن أين طلعت له ؟ وما سر عنايتها به وبهمتها عنه ... وقلقها في ساعات أزماته ولكنها حسم نفاته ؟ هذا هو اللغز الذي فاق جميع ما عداه ... ولكن هذه المرأة التي لا يعرفها ولم يرها ... ما أجملها ! انه تخيل فعلا يوما ما نوعا من الجمال تمسه في امرأته ... ولكنه لم يستطع تخيل حسن كهذا ... انه

بكثير عليه هذا احتمال تم ما أروع وجهها في هـــذا الشحوب.. لقد شحب وجهها هكذا حزنا عليه أمو في يمقته حقا؟. ثم ما هذا الذي يرى يا للعجب!. انها دمعة نقية ترقرق في عينيها الواسعتين كأنها قطرة ندى. ولم تحتمل اخفاء ألمها ـ فيما يبـــدو ـ أكثر من ذلك فاندفعت خارجة من الحجرة، وهي تمسح دمعها بأناملها العرمرية الاصداف، والممرضة في أثرها. ولم يبـــد المريض حركة ولم يسقط عينيه عند أدهله ما رأى عن كل شيء. ولم يثب الى رشده، ويستعيد له ارادة، الا بعد أن عادت اليه الممرضة وحدها راجية منه في الرجاء أن يكف عن هذه الاكذوبة، وأن يسمح لها أن تخبر الحقيقة بالحقيقة، قبل أن تخرج الامور، وتفلت ارادة المستشفى الأمر، فتعرض هي للمؤاخذة، ذلك أن «الست» تصر على استشارة الاطباء، وبذل كل عطاء لانقاذه من الموت، ولم تنتظر الممرضة رأيه أو جوابه.. واقتربت عينيه بعينيه على الاستواء قليلا ..ووضع الوسادة خلف ظهره، وحدثت احدى المجلات المصورة ودفعت بها اليه، وأعلنت أنها ذاهبة تخبر «الست» بالحقيقة، وتعود بها تراه وهو في حالته الحقيقية... وخرجت عنـــه وهو مضطجع كالطفل الذي

لا ... له ولا عزم ... المتقبل كل ما يجرى له ويفرض عليه . وأخذ بعث صفحات المجلة المصورة بين رائعة وفكر شارد ... وإذا بصره على الرغم منه يقع على صورة يعرفها . عجبا ! انها صورة للعروس التي رأى رسمها في الإطار ... هي بعينها في ثياب العرس منتصبة والى جانبها شاب في ثياب السهرة ، المرك ، وتحت الصورة عبارة « قران بهيج » ... فقد زفت ... الى خاطبها الأول حب نفسه ، انه لا يأسف الآن عليها كثيرا .

وأرسل بصره الى الباب فقد انفصر ... معنى الإنفاس .. ان الممرضة تدخل وهي تحدث الحاجة حديثا رفيعا الى داخل الحجرة ، وقدمت اليها مقعدا بجوار السرير ، وانصرفت في الحال ... ومر كل ذلك مرا خاطفا ، فلم يشعر المهندس بشيء الا وهما منفردان وجها لوجه ، ولم يكن من اليسير أن يجد أحدهما الكلام الذي يبدأ به ... توقفا أول الأمر في صمت عميق محرج ... قطعته الحماة قائلة ، وكأنما تعنى الصعداء :

ـ آه ! الحمد لله على انك بخير ! لقد كدت يقضى على ساعة عندما حسبتك تموت !

فرد ابنه وإلى فمها وهي تحقق هذه الكلمات ، وكأنه

لا يصدق أن هذا القول موجه إليه ... ثم تماسك قليلا وقال لها .

- حياتي شيء مهم عندك ؟

- جدا

- لا يوجد غير تعليل واحد لكل هذا ، أني مت حقيقة وانتقلت الى جنة الخلد ، وما أنت الا حورية مكلفة بملاطفتي ولكن ... أين الشجر والنهر والكوثر ... وما هذا السرير والممرضة والمستشفى "

- لا ... أنت من جنس البشر حتى ... لأنك لو كنت مت ودخلت جنة الخلد ، كنت أنا دخلت السجن

- السجن ؟ وما المناسبة ؟!

- آن الأوان أن أعترف لك يا سيدي بحقيقتي . أنا التي صدمت سيارتي . واني بالطبع متأسفة جدا . ولكنه القدر ... أقوى منا ومن ارادتنا وتدبيرنا . كنت مسرعة وهذا خطأ مني ولا شك ... ولكني كنت مدفوعة برغبتي في شراء ثوب حريري رأيته في الصباح ، وخفت أن تسبقني الى شرائه أخرى ... وعندما قربت المحلات على حدث لم ألتفت ومضيت في السير بنفس السرعة .. لا عن قسوة مني

وبعض في امرؤه ... ل عن حول سديد استحوذ علي .
بعد فرس من حسدك امشي على الأرض كمن يهرب من
شبح ... وعدت نوالى سنا عائلة احمد ... ورأسي والدي
ميهاتها اضطرابي ، وقصصت عليها ما حدث ، فنصحني أن
أخبر والدي بكل شيء ... وهو من رجال القضاء . فلما سمع
والدي القصة حار هو الآخر فيما ينبغي عمله ... قال النصح
عن هذا حدث مسألة التعرض للحكم ذات الحساب ، كما
قال لي ، وإذا لم تمنع ما تحس به حريته الشخصية خوف حياتها
وأن كرامته كقاضي تمنعه من أن يمنع أحداً ولو كان ابنه
بالهرب من اعدائه ... وأن حريته كان يمنعه كذلك من
أن يدفع بنته الوحيدة الى ... واسهي به استكبر
في أن يترك لي حرية التصرف بعد أن أمهلني كل النتائج
المحتملة لهذا الفعل ... وجعل يمسني على حنوي في سرعة
القيادة .. ونصحني أخيراً أن أسمع حين أغضب على الأقل
وأن أعمل على علاجه وانقاذه ... فإذا شفي من عمع على
من أعمال أكثر من غرامة مالية ... وبهذا بادرت أسأل قسم
البوليس عن الحادث في حادث السيارة عصر ذلك اليوم في
ميدان سليمان باشا ... الى أن اهتديت الى البلد

وأصغي المهندس الى حديثه ، وكأنه يهبط رويداً رويداً

من السحب حتى لاصق التراب .. وما فرغت رؤيتها .
حتى نظر اليها قائلا :

- يا لك من مجرمة أثيمة ! .. كسرت ضلعي ، واضعت حبيبتي ، وبددت أحلامي ! وكل هذا لن تعاقبي عليه بأكثر من غرامة مالية !

- لأنك نجيت والحمد لله !

- أنا نجيت ! وما قيمة نجاتي ؟ إن موتي الآن خير من حياتي .. أكان هذا العطف الذي أبديته نحوي .. وهذه الصدمة التي صدمتها من عملك ، وهذا الشحوب الذي بدا عليك لم يكن من أجلي ولا خوفا علي ، بل خوفا على نفسك من الحبس ؟! اسمعي أيتها الآنسة .. أو السيدة .. أو الزوجة المزعومة

- الزوجة ؟

- طبعا .. وماذا يرضيني أن يكون ظنهم هنا سيدة مثلك تعنى هذه العناية برجل مثلي ؟ لقد خطر في بالهم بالضرورة أنك زوجتي ، ولم يخطر في بالهم أنك قاتلتي !

- لا تقل إني قاتلتك .. فها أنت ذا الآن في صحة جيدة

- كم كنت أتمنى أن أموت لتدخلي أنت الحبس

- الى هذا الحد تنصفني ؟

- هل أبعث الحكومة أمث أب الخاتمه ؟

- لم أسمع بعد … شد رأت ان أسهر حتى تنتهى

- واذا كنت مت ؟

- كنت دهنت وقدمت عنى سولى

- الآن و … أن تعصب ، كان يحكم محمك فى حاله وفاتى من الحادث ؟

- كان ذلك مرجحا لانى من أرذل السواق

- أنت ؟ من أرذل السواق ؟!

- نعم … فى حوادث السيارات … سبق لى أن صدمت حمارا محملا بالخضر فى طريق عرب فى صيف العام الماضى ، وبعد سنة أشهر صدمت حمارا آخر يحمل لبنا فى سكة الهرم

- حضرتك أخصائية فى صدم الحمير ؟

فنظرت اليه وهو مطلق فى أزمة الضحك … وضحكت ولم يعطل هو الى النكتة ، ومضى يقول :

- أظنها الحقيقة … أنا مضطر الحكم عليه ، لابد أن يسمع رأيي فى جريمتك . هل تريدين حكمي أو حكم المحكمة؟

- حكمك

- حكمت عليك بالحبس

- بتهمة حبو ؟!

- في أحضان الزوجية

فطربت الفتاة وابتسم أسامة المحكوم عليه الذي رضي بالحكم ولن يستأنفه أو يطعن فيه



مضى عام على زواجهما ، فأدرك المهندس أن « القدر » حقا قد عرف كيف يهديه الى « طبعه » و « شطره » ونصفه وزوجته المثلى .. وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا ما لا يخطر على بال البشر .. وهل كان مثله يتصور أنه سيلقى شريكته يوما بهذه الطريقة ؟! إن كلمة « النصيب » التي يذكرها الناس دائما في بساطة ليست الا مظهرا من مظاهر فن « القدر » المتحكم في تدبير مصائر الآدميين

واحتفالا في المساء بمرور العام على زفاف الزوجين ، همس في أذن زوجته قائلا

- كان لابد لحواء أن تخلق من آدم ضلعا حتى يوجد ، وكان لابد لك من أن تكسري لي ضلعا حتى أجدك !

كليوباترة ومارك

من أسرار الحرب الأخيرة التي لم يكشف بعد عنها النقاب في أوروبا الآن [illegible] ولا من صحيفة في العالم نشرت هذه القصة الغريبة . التي قد تصدم مشاعر الإنسان في القرن العشرين . ولكن هذا لا يمنع من أنها وقعت بالفعل . وأرجو أن لا يسألني سائل عن مصدر علمي بها [illegible] فقد [illegible] أقسمت أن لا أبوح به لأحد

كان [illegible] في عام ١٩٤٤ ، في جزيرة [illegible] باستحياء . [illegible] الجنرال ، ماك آرثر ، [illegible] في جزيرة [illegible] تايان بعد أن اضطر إلى الجلاء عن الفلبين

كان [illegible] جميلا [illegible] والشفق [illegible] على صفحة ماء بيضاء كرداء العروس ، والنسيم يهب رفيقا من المحيط الهادي ، الناعم .

وكان ، ماك آرثر ، جالسا في شرفة مقره بمفرده ، وقد غرق في مقعد من القش كمقعد الشواطئ ، وأرسل رأسه إلى الوراء على المسند وراح في شبه إغفاءة [illegible] من التعب والإجهاد ، وثقل الأعباء والتبعات .

لم ينم طويلا .. فقد استيقظ فجأة على صوت مجاديف تشق مياه النيل الأخضر ، وموسيقى تحملها الريح ، وعطور تضوع في الهواء .. ففتح عينيه ، فإذا هو أمام منظر عجيب .. سفينة من سفن العصور القديمة ، تتهادى فوق الأمواج مترنحة .. مزخرفة من ذهب ، وشراعها من الأرجوان ، ومجاديفها من الفضة ، تتحرك على نغم المزامير

وفي مقصورتها امرأة مستلقية على الحرير كأنها إلهة ، يحرق من حولها البخور وينشر عبيرا يلعب بالرؤوس ويسحر النفوس

ونزلت تلك المرأة من السفينة ، ومشت وكأنها تخطر في الهواء .. نحو مركز القيادة ، وهي تقول

ـ .. مارك أنطوني ..!

تمتم الجنرال الأمريكي دهشة وهو يقول

ـ أنا .. ماك آرثر ..!

ـ نعم ، أقصد .. ماك آرثر .. أنت حتما ، وأنت الذي أريد

ـ من أنت ؟

ـ أنا كليوباترا

فتفحصها الفتاة بنظرة ... وتأملت ثيابها وزينتها
... ولآلئها ... في ... العجيبة ، وهو
أنه ... وقال

ـ ليهمس ، ليهمس ... الذي أعجب ... هو كيف استطاعت هوليوود أن تصنع هذه المعجزة بدون علمي ؟ وكيف حصلت على اذن في ... هذه المجموعة إخراج الأفلام ... ومن هي الممثلة التي يمكن أن تتحمل هذه ... الاشخاص الى ... ؟ هذه مسألة خطيرة يا سيدي ، لا يجب الاغضاء عنها

وهنا ، وعلى ... ابتسامة ... حاول ... لتجري الأمر ... العظيمة ، ووقفت بجلالها الملكي ، ... الملائكي

ـ قلت لك أنا كليوباترا ، ملكة مصر ... من العالم الآخر ، ولعلها أول مرة يحدث فيها ذلك ، منذ عرف الناس الحياة وعرفوا الموت ... أن عصركم اليوم عصر ... فيه أعاجيب ، ولكن الأعجوبة الكبرى هي تمكني من العودة الى الدنيا .. كيف تمكنت ؟ هذا ما لا شأن لك ولا لي به . وأنا لم أحضر لأتحدث عن أسرار الموت والحياة ، ولكني أريد أن تصدقني ... فلا أقل لك ... كيف تم هذا ،

بتعريفكم وبحكم التي تفهمونها ... أن بعد موتنا تتلاشى روحنا وجسدنا كذرات في الفضاء .. على أن السعداء . الله هو جمع هذه الذرات من الكون مرة أخرى في خلق الجسد وعين الروح . فقد استطعتم انتم البشر أن تجمعوا من الفضاء أصواتا وتنقلوا صورا .. ولكن أين تجدون بعد الجهاز الذي يجمع ذراتهم سائرة ، في كتابهم القديم وصورهم المدمرة ؟ لابد أن يوجد هناك جهاز هذه الذرات ويجمعها ... بعد ... هذه المعجزة فما يمنعني من ... كيف أن هذا الجهاز ، أو هذه القوة التي حدثني ، بدون أن أشعر أن أبقى ... لا ... أي شيء ... وبين حسي السليم ... القوى .

ومن ذلك ... عنها أشدوها بكل ... هذه ... مرة ... ومرح ... حتى وصف ... على حد قوله ، ثم مكن في الجمال ... من ... ملامح وجهها ... ولكن وجدها ... إنما هو حديثها الذي كان ... في القلوب ... كان صوتها هو العذوبة ، ولسانها ... الأول ... في ...

سحر حديث كليوباترا كان هو المستحيل ..

وهمس القائد الامريكى كالمتحدث معه :

— مارك أنطونى !

— نعم .. ما أعجب الشبه بينك وبينه .. فى وجهه وقامته وقوامه .. ومشيته .. بل ما أشبه دولتك بدولته .. لقد كان الرومان فاتحى العالم بالسيف ، واليوم الامريكان هم فاتحو العالم بالدولار .. كان للرومان مجلس شيوخ و « قيصر » وللامريكان مجلس شيوخ و « روزفلت » .



من العسير أن نطيل .. فمن البديهى أن يكون ... « مارك أنطونى » وقع فى حب « كليوباترا » .. وهل دنا منها أحد دون أن يسقط فى أتون غرامها ؟ وبعد ذلك ... وهم لا يعرفون .. كانت معه كما كانت مع « مارك أنطونى » فى أول حبهما .. بعد قتل ابيها والقائد الرومانى كانا ملازمين الليل والنهار .. كانا يهيمان فى الطرقات أحيانا متنكرين ويلهوان .. هى متنكرة فى زى وصيفة وهو فى زى وصيف .. أما اليوم فهى تلازم القائد الامريكى فى زى « ضابطة » من المجندات ، وقد التحقت بمكتبه .. وهو وصحبه

طبيعي . وهل يثير اندهاش أحد أن يكون الجنرال الامريكي « سكرتيرته » محبوبة في ردائها العسكري ؟

لم يكن شيء يعكر صفو حبهما غير شبح .. هو دائما عين الشبح : الزوجة

فما معنى كانت هي « فولفيا » زوجة « مارك أنطونيو » التي هجرها في ايطاليا . والسيدة هي مصر « ماك آرثر » التي تركها في أمريكا

يا له حقا من تشابه عجيب !

كلاهما زوج وأب « بعيد عن بلاده » وكلاهما يحرز كليوباترا وزعيمتها كما فكر في العودة الى امرأته واولاده ونم تلك محدوبها ان همست له هي دي امريكا لاسحبه تقوم في أمريكا لاختيار « الرئيس » وترشح « روزفلت » للمرة الرابعة . ولكن نفرا قاموا من جهة أخرى يرشحون أمامه « ماك آرثر » .

ثم همست « كليوباترا » تدرأ عن حبها الخطر ، فاستعانت بقوة سحرها وبقاد نفسها لتصرف « القائد الامريكي » عن هذه الفكرة ، كما صرفت من قبل « القائد الروماني » عن الذهاب لمحاربة قيصر .

لعل هذا هو السر الحقيقي في انسحاب « ماك آرثر » من معركة الانسحابات الامريكية !

وهكذا طغت « كليوباترا » باستغراقه حبها الى جانبها وانصرافه عن زوجته ووطنه ودينه

على انها كانت هذه المرة ذات فأل حسن وأثر طيب على القائد الامريكي فقد حفزته وألهمته ، فتوالت انتصاراته وصار يثب من جزيرة الى جزيرة خلف اليابانيين يطردهم منها ويستولى عليها وهو لا يرهب شيئاً الا أن يبدو مندحراً أمام « كليوباترا » حتى تم له الفوز الاخير واستسلمت اليابان .. ودخل « ماك آرثر » طوكيو دخول الفاتحين

ومرت أيام لم ير القائد أحسن منها وفي ذات عصر ، وقفت « كليوباترا » بجواره وأرسلت بصرها الى البحر ، وقالت

ـ أتدرى يا « مارك » .. أقصد .. « ماك » .. ما الذي يجول في خاطري ؟

ـ ماذا يا « كليو » ؟

ـ أتذكر يوم جئت اليك تحملني تلك السفينة الجميلة ؟ لقد كانت هي عين السفينة التي ذهبت فيها الى « مارك » في « طرسوس » وقد استدعاني لأقدم حساباً عن سفرى الى من

معونتي لأعدائه . وقد أصبح أحدنا الآخر بعدئذ ولكن برغم ذلك [illegible] أي اذلال وهوان أن يستدعي رأس [illegible] أمام قائد منتصر

« قولك .. ماك .. لو استدعى امبراطور اليابان ليمثل بين يديك ؟

فأجمل « ماك آرثر » فعلا بهذه الفكرة [illegible] لا يجهل حضوره الأقدام على [illegible] أخرى [illegible] « الميكادو » [illegible] الله في قومه

[illegible] ولكنها [illegible] فأحس [illegible] في قلبه [illegible] وقال

— سأفعل ! سأفعل يا كدو !

وتم [illegible] حتى كان الامبراطور [illegible] الرسمية السوداء ، ماثلا أمام « ماك آرثر » في مقر قيادته وهو بقميصه الكاكي ..

وأمر [illegible] بهذا [illegible] !

[illegible] بعد ذلك [illegible] ، يربع في [illegible] الحسان ، ويضحكان ويلهيان .

وخرجا ذات يوم للصيد في خليج [illegible] وكاد

النهار يولي [illegible] ثم [illegible] سمكة . وضحك من

هزيمته [illegible] فدبرت مع أحد الصيادين

الماهرين ، على أن يغوص في الماء ويضع في صنارته سمكة

من سمك البحر ، وبعد الإخفاق ، وجذب القائد صنارته ،

فإذا بها سمكة كبيرة ، أراد [illegible] ولكن كليوباترا

لم تكن [illegible] واتفقت هي الأخرى

مع الصياد سرا [illegible] ، ووضع [illegible] في صنارته

في الماء إلى أن شعر بثقلها فجذبها . وإذا بها : سردينة كبيرة

مملحة مما يباع في صناديق البقالين

ارتفعت عندئذ قهقهة الحاضرين ، وكاد القائد الروماني

يغضب ، لولا صوت كليوباترا الناعم اللين .

ــ أيها القائد العظيم ! [illegible] وصيد السمك ؟ اترك

[illegible] للصيادين والماهرين . أما أنت فصيدك [illegible] والمدن

والملوك والإمبراطوريات !

ما من [illegible] هذا الإغراء من فم كليوباترا ،

عند ذلك [illegible] ، وأقبل عليها [illegible]

يقطر حبا ، وهو يهمس :

ـ يا عزيزتي كسو !



لكن الحب شديد الشبه بالنار ، انه يأكل كل شيء حتى نفسه ثم لا يشبع أبدا ، ولا يعرف نهاية ولا حدا . بعد حصار دام أشهرا ، هبط الأكبر سيدة مدينة كب المؤرخين ، بوب واللاس ، الذين كتبوا عن كسوبارا . وخرج من هذه المرأة بقلب يهشه الغيرة . بعد بين له أن أكثر كتابات حسه الى ساحته بها ويحب به . بين أن ثابت معها ومعه بارك اسوي !

وحدث ان كسوبارا علمت يوما ، فتصرف في مدة كتب المؤرخات ، فموجه على القتال صعب أخبارهم . فتهمس لساعتها ما يحتش في صدر حبيبها المضطرب الحس ، فبادرته قائلة :

ـ أرجوك أن لا تصدق ما يعرف به هؤلاء المؤرخون !

ـ كيف لا أصدق والعبارات التي أوردوها هي عين عباراتك التي أسمعها اليوم من شفتيك ؟

ـ اسمع يا مارك .

ـ من فضلك … أن أسمي ملك … مالك الى من يفضي
مخلطين بيني وبين الآخر ؟

ـ لو أني لا أخلط وأسماء بيني … هذا طبيعي
أولا بعد نسيان أن مختفي، وهو الذي نعود بذلك الاسم
بعد عشرين قرنا ؟!

ـ أمامك بعد الآن أن تشرحي لي … تذكرين ذاتك أنت
وأنه مدحورا … أنه أنت بأني مسحورا

ـ نعم … بعد كل حي له شؤونه عنه … أنا حي لك ،
لكما ترى ، بعد الغلطة … ولولاي لما استطعت … تحدر
منك أن أن تذكر ذاتك التي عدت الى الحياة من أجلك
هذا ما لم يحدث لبشر غيري !

سكن عندئذ ثائر أماته الامريكي واستعرت نفسه
ونفس أنه وهو هادئ ، فمضى يبحث عن حبه … ولكن
الحب لا يرضى ولا يطمئن لأنه اذا قال … وهو كالملك
اذا نام مات .

ودب في رأس … أن … غريبة الأخيرة . هذا
ما لم يحدث لبشر غيرك … محتفظ بنفسه ذات ليلة

ـ حقيقة … هذا ما لم يحدث من قبل … هذا هو المجد
الذي لم يبلغه بشر … كمونارا يعود الى الحياة من أجلي

ولكن من يعلم ذلك حتى الآن ؟ . لا أحد ســواى . .
وما قيمة ذلك اذن ؟ ترى ماذا يحدث لو أذيع هـــذا الخبر
[illegible] ، ونشر فى صحف [illegible] . كليوباترا مثت [illegible]
[illegible] ، !!

[illegible] هى [illegible] التى [illegible] [illegible] أنها [illegible] أعجوبة
[illegible] [illegible] [illegible] !

و[illegible] هذه [illegible] و[illegible] عنه [illegible] الطوال
[illegible] أن [illegible] أمر كليوباترا لعالم المتحضر ، ولم [illegible]
[illegible] [illegible] قائلا

ـ [illegible] يا كليو !

ـ أى [illegible] [illegible]

ـ أخبرينى [illegible] هل فكرت فى [illegible] أعنى فى
مستقبلك ؟

ـ مستقبلى ؟!

ـ نعم [illegible] هكذا [illegible] [illegible] محـــددة فى عصر
[illegible] لا [illegible] بك أحد ؟ أنت أحسن وأشـــهر ملكات
[illegible] [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] بك [illegible] [illegible] ، لو
أذيع أمر وجودك ، أى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى كل مكان،

وأن جوارك محجوز منذ ... إنهم في أمريكا يحسدون من
يقترن بإحدى النساء ، فقد هم قائلون يوم يرون ، ملك
أوزير ، وفي ذراعه ، كليوباترا ، أبهى الملكات وأمتع
المتوجات !..

ـ أيها الأمريكي ، أهذا هو الذي يشغل بالك الآن ؟
أهذا هو مصير حبنا ؟ تريد أن تستخدمه أداة إعلان ؟

ـ بل أريد أن نكرمك هذا العصر

ـ تكرمني ؟ أتدري كيف سيكون تكريمي ؟ إني أعرف
ما ينتظرني في بلدك ، سأكون مثله للسائح يأتون لمشاهدتي
من أطراف الأرض يوماً ، بالصحفيين والمراسلين لا تنضب ،
وموضوعاً لعبثه في الصحف والحفلات والمسارح والأسواق
يثرن الإشاعات حولي ، ويهمسن بالسيئ لحظي ، ويتضاحكن
ويتسامرن قائلات .. « أهذه هي التي قال التاريخ إنها فتنت
القواد والقياصرة ؟ ماذا فيها من حسن وسحر وإغراء بهر
الرجال ؟! »

ـ بل تعني أنك ستكونين أعظم امرأة في زماننا هذا

ـ أعظم امرأة زوجة ... هذا محتمل جدا وخاطر جدا
لأن شركات الأزياء الكبرى في أمريكا ستتزاحم

عارضة على أبهى الأجور لأروج بها أثوابها .. وشركات
الزينة والجوارب ، والعطور ، والصابون ، وكل الحلاقين
ودور النشر ، والمصورين ورجال الصناعة والمال والأعمال
.الخ ولا تنس شركات هوليوود العالمية .. فمن المؤكد
أنها ستتهافت طالبة إلى القيام بدور « كليوباترا » في فيلم
ضخم لم يدفع فيه إنسان .. وقل مثل ذلك عن مسارح
برودواي الشهيرة ، ومن يدري ما ستعرض عليك من
عمل ومن مال ..

— تصوري جداً أن يكون لك مال كثير وثروة ضخمة ،
تلبي الخواطر والنفائس ، وتمتلكي في كل مدينة أكثر من
قصر وفي كل بحر أكثر من يخت .. وتعيشي حياة الترف الخليقة
بك وبإسمك العظيم !..

— أستطيع أن تكوني كذلك ، يوم أراك منقوشة
بوجهي الكريم ، على كل علبة بودرة وكل زجاجة كولونيا
وأحمر شفاه ، وعلبة أظافر .. هذا هو عصرك وعهدك
.. وهذا هو حظك .. وهذا هو كل مستقبلي !

ونامت غاضبة ، وفي عينيها دمعة ، أخفتها بأصبعها ،
وانصرفت مسرعة ، إلى النص « ماشية » خلفها وهو يصيح بها

- كليو ... كليو ... انى أمزح

- لا ... أنت لا تمزح ... انى أقرأ ما فى أعماق نفسك

انك لن تستطيع طويلا أن تمضى بحبى لك فى ذى ضابطة

انت تريد ان أحلك أمام الناس فى ثوب « كليوباترا » وان

حضرت اليوم على قصر غدا ... انى أعرف غروركم !

- لن أقدم أبدا على أمر يغضبك

وبرق عندئذ فى رأسها خاطر ، فقالت

- ومع ذلك ... فهناك شىء خطير ، ليس فى مقدورك

أن تكشف أمرى ... اذ ذاك عرفت تكرته

هب أنك أقدمت وأعلنت حقيقتى للناس ... أتعلم ما الذى

يحدث ؟

- ماذا ؟

- يحدث لك ما حدث لكل من أعلن مثل هذا الأمر من

قبلك ... لن يصدقك الناس ... اذا أصررت وعاندت وحاولت

قادوك بكل سطوة الى مستشفى المجاذيب

- هذا معقول !

أقول الحقيقة ... لقد كذبت عليك يوم قلت ان ظهورى

لك لم يحدث مثله من قبل لبشر ... الواقع أن كثيرين من

الموتى يظهرون للأحياء . وأن كثيرين من الأحياء يحسون
ويحتفلون بالموتى . إن الخاطر من العقل غير موجود
إنه خاطر وهمي ، هو العقل الذي سبب ذلك الستار بين
هذين العالمين . ولكن من الناس من يخرج أحياناً على سلطان
العقل ، فيرتفع في أخذ الستر عن عيونهم ويبصرون ما وراءه
ويصرحون بين حقيقة . فإذا احتفظوا بهذا الستر لأنفسهم
سلموا . أما إذا باحوا به فقد يتهموا بالجنون . بل إن
كثيرين قد ضربوا بهم ، ويحبسون ... ،
و ... ، كما ضرب ... وعاشوا منحبسين
متى ما هي سر مكنون ... قد فقدوا ... أعصابهم
فعاشوا ذلك ... ، فهم أولئك الذين نراهم يعتبرون
أصحاب الأمراض العقلية والعصبية

— ما أعظم الناس !

— بل ما أعظم العقل ... هو الحاكم المسيطر في حياة
البشر ، الذي يحجب عنهم حقيقة وجودهم ، فمن حاول
ورفعه يرى خارجه ... لم يقل الناس إنه مجنون ، بل قالوا
إنه مريض ... ذلك أن هذا الحاكم الجبار ككل طاغية ،
لا يسمي الخارج عليه متحرراً ، بل ... يستحق
الإصلاح والحبس .

ـ من حسن الحظ أن أمريكا بلد الحرية ، ونحن فيهما نكره الطغاة والمسيطرين وانت ستربين للحرية تمثالا عظيما عند مدخل نيويورك فامشي « كليو » ولا تخافي شيئا .

ـ حقا انها الحرية في تمثال ، ولا أكثر من تمثال ! ستروح للناس اذن ؟ . .

ـ لا . لا . . لم أقل ذلك

ـ أرى في عينيك . .

ـ اذا وافقت أنت ومن يدري ؟ قد توافقين يوما .

ـ سترى اذن ما أصنع



مرت أسابيع واذا صحفي ذو شأن يأتي من نيويورك ليجري حديثا مع « مارك أرثر » .

وطالعت « كليوباترا » في وجه القائد الامريكي ما راعها وأثار قلقها وأدركت أنه قد لا يستشيرها ، ورجحت أن لسانه سينطلق . . وأنه قد يضعها أمام الأمر الواقع وجها لوجه . وقدمها للصحفي قائلا :

ـ « ملكة كليوباترا » أو « مسز كليوباترا » !

ـ نطو هذه الفكرة واسرعت من فورها تبحث عن

ثعبان

بعد حرب ابوت من عضته انه لا يحدث شيئا ولا

مرة من عرق الانسان في شبه سبات هادئ يمضي من نعم

فيه ان لا يصحو منه الى ان يضعف جوانبه ويموت موتا

هادئا

غير انها ذكرت وقتئذ ان « الاسيرين » يحدث اليوم غير

الاثر يصطحب عن فراشه وهى سلاسل تصطفه

وابتلعت أنويتين

نعم « مالك » بحدث يدخل عليها مسرعا ، فوجدها

في ابرع الاحمر وامحى عليها ممحمه ، وهمس في أذنها

ـ كيو كليو هذا مصمم ؟

فقالت وهى تحتضر :

ـ هل أحرقت الصحف ؟

ـ كلا يا كليو

ـ مالك ، احفظ سرى في قلبك وحده !

واسمعت الروح المرة الثانية وربما للمرة الثالثة

او عاشرة او ثالثه لا أحد يدرى

هل هذا السر مكنون ، لعل رب … أن مرض « ماك أرثر » يحمى جسمه ، فجعل يهذى فى الليل ، ويهوت للمرضة القائمة على فراشه

ـ كلمو … كلمو … هل عدت إلى أحد مرة أخرى من أجلى ؟

وجاء جمع من جوه فى أمر « كلمو » هذه ، فهم لم يسمعوا « أخرا » … هذا الاسم أمامهم من قبل

وتساءلوا من يكون ؟ أتراها بنت إحدى [illegible] مستر كلسون ، [illegible] التى أصبحت الآن [illegible] مسحورة بالأسرين ؟

هكذا قال من أحد لا [illegible] عواهرها [illegible] لم تنشر حتى الآن ، وهى التى [illegible] هنا بجذاميرها . ولن [illegible] إلى خرائب « ماك أرثر » نفسه … وهو لن يستطيع أن ينفى الواقعة

موقف حرج

حدث ذات صباح أن كنت جالسا على افريز المقهى المعتاد بجوار صديقي حسن ... بك ، وهو شيخ من أصحاب الألقاب ولا عمله الآن وسكن هكذا شأنه ، لأن حب الظهور شيء في دمه ، والرغبة في التظاهر ، طبع فيه

مر بي في ذلك اليوم مصادفة ، فحييته وأكرمته ، ولم أكن رأيته منذ شهور . وأمرت له بفنجان من القهوة واخذنا في الحديث . وإذا بشخص يدنو مني ... مترددا فالتفت إليه وبادرته

- من حضرتك ؟

- أنا اسمي ... مرقص

- طلباتك ؟

فمال على أذني هامسا :

- هل تقبل أن تكسب خمسين قرشا في اليوم ، وأنت جالس في مكانك ، هذا ، بدون أن تصنع شيئا ؟

- بالطبع . لا موجب للرفض

قلتها على البديهة ، كأنها من وحى الشعراء ، فبادر الرجل يقول :

ـ لن أنقص .. وهذه دفعة على الحساب

وأخرج بالفعل ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، دسها في كفي ، فوضعتها على الفور في جيبي ، وأنا أقول :

ـ اتفقنا

وانصرفت عنه إلى استئناف الحديث الذي انقطع بيني وبين حسن ملك ، ولكن الرجل حدجني بنظرة شديدة وقال :

ـ ألا تسألني عن أصل الموضوع ؟

ـ أي موضوع ؟

ـ ماذا الذي أعجبك هذه العود ؟

ـ وهل أنا أعرف ؟ كل معلوماتي في الأمر ، أنه قد تم بيننا اتفاق .. ألم يحصل بيننا الآن اتفاق ؟ ألم يتم عرض وقبول ؟ أما من جهتي فقد قبلت وانتهى الأمر .. فهل تريد بمثابة أحب أن أستفسر منك ماذا يعني هذا المبلغ ؟

ـ أخيرا .. اسمع يا سيدي .. المسألة بسيطة . أنت تجلس هنا .. وأنت ترقب المارة في غير شيء ، فقد كلفتك جهدا أن تراقب سيدة يقال إنها تتردد على هذه الصالة .. فتعرف لنا

في أي ساعة بالضبط تدخل ، وفي أي ساعة تخرج ؟

- وما شأنك بهذه السيدة ؟

- لا شأن لي بها على الإطلاق ، ولم أرها قط

- عجبا !.. وما الداعي إذن لأن تحصي تحركات هؤلاء في منزله لا يعنيك ولا يعنيني !؟

فتنحنح الرجل ثم قال :

- سأتكلم بصراحة .. لا أحب من الصدق والصراحة أنا في الحقيقة مكلف بهذه المراقبة في نظير مبلغ جسيم ، ولكني مشغول بعمل آخر يستغرق كل الوقت الذي يمكنني من أداء هذه المهمة ففكرت في أن أستأجرك من الباطن ، ونقتسم المبلغ

فطمع مرقص أفندي لأنه في الحقيقة هو الذي لا يعمل شيئا ويتقاضى خمسين قرشا

- وأنت أيضا لا تعمل شيئا

- كيف تقول ذلك يا مرقص أفندي ؟ فأنا الذي سأقوم بكل المهمة

- بالاختصار تريد أن أتنازل لك عن جزء من حصتي ؟

فلكي ما تريد أن لا أحب أن أعطيك أيضاً عشرة قروش أخرى

خمسة وعشرين من فضلك !

– تريد أن تأخذ ثلاثة أرباع الخمسة وأنا الربع ؟

– هكذا العدل

فتح الرجل فمه ولكن لم يخرج من الصوت بدا فأخرج من جيبه ورق القلم، ونعدي اليه دون أن ينبس بحرف فوضعت النقود في جيبي ووعدته خيراً، وانصرفت عنه إلى محادثة جليسي ولكن الرجل لم ينصرف، ووقف في مكانه

– حضرتك لم تسألني عن السيدة

– أي سيدة ؟

– التي سرقتها كيف ستقوم بمراقبتها وأنت لم تعرف شيئاً من أوصافها ؟

– حقيقة غاب عن نفسي ذلك اذكر لي أوصافها

– خير من هذا أن أريك صورتها، ستطبع ملامحها في ذهنك جيداً الك الصورة انظر

وأخرج من محفظته صورة فوتوغرافية لامرأة مبحة أملس عليها محدر وهي في يده فقلت له :

ـ هل تسمح لي أن أحتفظ بصورة ؟

ـ ليس هذا من استحسن ، لأني وعدت أن أحرص عليها ولا أسلمها لأحد

ـ ومن الذي أعطاك إياها ؟

ـ لا يا سيدي ، هذه أسرار خاصة ، لا يجوز لنا الخوض فيها هذا لا يعنينا . فلنعمل في حدود التكليف ، ولا دخل لنا في الباقي

ـ أهو زوجها ؟

ـ لا أظن

ـ لعله خليلها ؟

ـ ربما

ـ خليلها شك في سيرها ويعثر على سلوكها ؟!

ـ فراستك في محلها على كل حال هذا من اختصاص الإنسان أو تفتش خلفه أسرار العائلات وحسبنا أنه يجب أن نكون عند حسن الظن وأصون

ـ مفهوم ، مفهوم

ـ ولكن .. أنا مقيد عندك

ـ اطمئن .. فقط لا أخفي عنك أن ذاكرتي ضعيفة ولا معتمد عليها ، فمن مصلحتنا معا أن تتركني في الصورة ولو ليوم واحد ، أراجع اسمها وتفاصيلها حتى لا يحدث لبس أو غلط .. في السيدات المارات كذلك .. ومن الصعب على مثلي أن يفرق هذه من تلك

ففكر الرجل لحظة ، وهرش رأسه قليلا ثم مد لي يده بالصورة وهو يقول : .. لا بأس اتركها معك اليوم .. وأوصيك بالمحافظة عليها لحين تردها إلي في الغد

وانصرف مرقص أفندي مشيعا بعبارات التحية والاحترام وما كاد يختفي عن نظري ، حتى ملت على حليم حسن بك وقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، مع حذف مسألة الحقيبة وانسحق قرش بالضبط ، وحسب الكلام فوق

ـ أنت تعرف أن عقلي أكبر من بطني ، وأن سهوي أكثر من صحوي ، أما أنت فكنت بطبعك شديد اليقظة ، فما رأيك لو قبضت على هذه المهمة .. وانتبهت بالك إلى كل سيدة تدخل العمارة أو تخرج منها ، وتطبق أوصافها على الصورة التي سأطلعك عليها الآن ؟ .. على أي حال كل

شيء. أحب أن أصارحك بأن هذا عمل آخر

فضحك حسن بك وقال

ـ لا عليك ... إني سأقوم به لوجه الله

ـ لا يا سيدي الفاضل، الشغل شغل، لا يوجد شيء نعمله لوجه الله. هل نصل وجه الله برى بلا ثمن؟ هذا التصوير حرفتي في حياتي وسبب رزقي من أبدعه، إن وجه الله لا يشاهد بالمجان، ولن تصوروه ... وبعد إعدادي لابد من دفع صدقة وزكاة وندور ونداء وكفارة ونفقات حج ونكث ... وإعانة ملهوف والصدقة في الحسنة بحروف إلى آخر تلك الأمور التي لو جمعتها لكان الحاصل رقما لا يستهان به ... فكرة الشرع وقانون آخر علمك علمه بالأصول المعمول بها في جميع الأحوال

ـ أمرك . انقدني الأجر إذن

ـ سأدفع لك ثمن فنجان القهوة ... أتقبل؟

ـ قبلت

ثم هز رأسه مبتسما، ومد يده ليتناول من يدي الصورة، فقلت له

ـ مهلا ... يجب أن ترده إلي قبل ... فقد وعدتني

أن أردها الى الرجل غداً .

فقال بابتسامة بريئة :

— طبعاً ، وما الداعي لأحتفظ بها طويلاً ؟

فوضعتها في كفه [illegible] فرفعها الى عينيه [illegible] أكثر [illegible]

ولكن لم يكد ينظر اليها حتى امتقع لونه ، وارتجف [illegible]

[illegible] وانتفض [illegible] وهتف [illegible] به

— حسين بك [illegible] ؟

[illegible] وخيل الي أنه لم يعد يسمع [illegible] وجمدت

عيناه على الصورة وتصبب العرق من جبينه [illegible]

مثلاً

— حسين بك ؟ [illegible] هل تعرفها ؟

[illegible] الصوت [illegible] من قبر

— كيف لا أعرفها وهي [illegible] زوجتي !

وانتفض الرجل [illegible] وجهه قد خرجت [illegible]

[illegible] من مقعده ، واندفع في [illegible] كالمجنون

ولم يلبث أن غاب عن نظري [illegible] ، وفكري [illegible]

وكذلك أصبح في أثره

— الصورة [illegible] الصورة

ولكني تذكرت صحة كارثته وأدركت أنها له وأنه
أحق أهل الأرض بحملها والاحتفاظ بها فملكت نفسي
وثاب الى رشدي قليلا قليلا فلبست ثوبي . ولقيت مرقص
أفندي وبعض الخيبة والسعي فرت ، اني خسرت من
أجلها صديقي ، وخسر الصديق زوجته وخسرت الزوجة
حليلها . ولو كنت أعلم ان المهمة ستؤدي الى هذه الفواجع
كلها ، لطالبت مرقص أفندي بما لا يقل عن ضعف حسنهن

فهرس

كتاب الهلال

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في إخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما (ما عدا كتاب رمضان ١٠٠ مليم) بخلاف مصاريف البريد المسجل وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية.

عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد

ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج

هرون الرشيد
تأليف الدكتور أحمد أمين

أبو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد

جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف [illegible]

قلب السحر
تأليف أوكتاف أوبري

السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد أبو حديد

غاندي القديس الثائر
[illegible]

زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد

الزعيم أحمد عرابي
تأليف عبد الرحمن الرافعي

بطلة كربلاء (عقيلة بني هاشم)
[illegible]

أشعب أمير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم

عروس ربة الجبال والأمواج
تأليف صوفي عبد الله

حديث رمضان
تأليف الإمام محمد مصطفى المراغي

عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الأغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ. سي. ارمسترونج

كليوباترة في خان الخليلي
تأليف محمود تيمور

الإسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف [illegible]

القائد الأعظم محمد علي جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابي (الجزء الأول)
تأليف الزعيم أحمد عرابي

مذكرات عرابي (الجزء الثاني)
تأليف الزعيم أحمد عرابي

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

أمة تبحث وهب
تأليف الدكتور محمد الصعيدي

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم في الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

أبو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقي

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

ملهمة الحياة
قصة من الشرق والغرب

في الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازني

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبي دانيال بالإسكندرية ، ومن شركة الصحافة العربية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية بشارع المتنبي ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات شارع بنكو طريق الأنكلي ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات بساحة السيد علي بقطام بساحة العابد بدمشق ، ومن جميع المكاتب الشهيرة ، وأكشاك الصحف ما عدا الكتب التي نفدت نسخها كما نرى في هذا الكشف

الكتاب القادم

لاتقتل نفسك!

تأليف

الدكتور ميتر شنيكرون

DATE DUE


JAFET LIB.
* 2 8 MAR 2017 *
Circulation Dept. 2


JAFET LIB.
*
*
Circulation Dept. 2


JAFET LIB.
* 1 8 FEB 2019 *
Circulation Dept.



هذا الكتاب

لهذا الكتاب اسم غريب وضعه مؤلفه الاستاذ توفيق الحكيم ، لا حبا فى الغرابة ، ولا رغبة فى تشويق القراء الى ما فيه من غرائب القصص ، بل لأن هذا الاسم ، وان كان عنوانا للقصة الاولى من قصصه ، فانه يكاد يكون عنوانا لجانب كبير من قصص الحياة وحوادث المجتمع . فالغفلة اساس كل خطأ مادى وادبى ، وأهم مصدر لكل اهمال وتقصير

فلولا غفلة الآباء ما درج الابناء على الاستهانة بالواجب ونشأوا على تربية سيئة ، ولولا الغفلة ما هدمت حياة زوجية كان يسودها الهناء بين الزوجين ، ولولا الغفلة ما تقطعت اسباب الصداقة بين الاصدقاء

ان هذا الكتاب يحوى طائفة من قصص المغفلين فى هذه الدنيا ، ولكنه — الى ذلك — يحوى طائفة اخرى من قصص النابهين . وكما أن النباهة فى الحياة مدرسة يسعد فيها الناجحون ، فالغفلة مدرسة يشقى فيها الفاشلون ، وقد صور الاديب الحكيم هذا كله فى قصصه البليغة وفى اسلوبه الفنى الممتاز